

1- متى فرض الصوم على المسلمين، وكيف

سلسلة نداء الرحمن

قال الله تعالى في كتابه المجيد في سورة البقرة

"يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون / 183."



تعرض هذه الآية واحدة من اهم العبادات في الاسلام وهي عبادة الصوم. والصوم في الاصطلاح الشرعي : هو عبارة عن الكف والامتناع عن الطعام والشراب وعن سائر المفطرات المفصلة في كتب الفقه الاسلامي تقرباً الى الله وابتغاءاً لمرضاته عز وجل.

والآية بصفة عامة تبين ثلاثة امور بشكل اساسي وهي:

اولاً: فرض هذه العبادة على المسلمين.

وثانياً : تاريخ هذه الفريضة في الأمم السابقة.

ثالثاً: فلسفة هذه العبادة الالهية والغاية منها.

أما الامر الاول : فان الآية تدل بوضوح على وجوب فرض الصوم على جميع المسلمين المكلفين ، وهذا ما نستفيده من عبارة (كتب عليكم الصيام) فان تعبير الآية بفعل (كتب) يدل على التشريع والفرض ، فمعنى كتب عليكم يعني فرض عليكم اي ان الصيام فريضة دينية لازمة.

وقد استعمل القرآن الكريم فعل (كتب) بمعنى فرض وشرع ، في تشريعات اخرى في اكثر من آية فقال تعالى : (كتب عليكم القصاص) البقرة 138. وقال تعالى : (وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف) المائدة 45/ الى غير ذلك من الايات

ولعل التعبير بفعل كتب في الآية يفيد بالاضافة الى الفرض والتشريع، قوة هذه الفريضة وتأكيدها ، وشدة العناية بها ، وانه لا يجوز اغفالها او اهمالها او الوقوف منها موقف اللامبالاة.

ثم لما كان الصوم عبادة ثقيلة على النفس ومقرونة بالجوع والمعاناة والتعب والمشقة فقد طرحت الآية موضوع الصوم بأسلوب مميز من أجل تهيئة نفوس المسلمين لتقبل هذه الفريضة ، فخاطب الله المسلمين بقوله سبحانه وتعالى (يا ايها الذين آمنوا) ولم

يقول (يا ايها الناس) وذلك من اجل ان يذكرهم بصفة الايمان التي يحملونها نتيجة تصديقهم بمحمد (ص) واتباعهم له ، لان مقتضى كونهم مؤمنين هو ان يتقبلوا ما يفرضه الايمان عليهم ، وان يطبقوا احكام الله مهما كانت مخالفة لعاداتهم وشهواتهم ومهما كانت شاقة على حياتهم . لان الايمان ليس اعتقاداً قلبياً او نفسياً فقط ، وانما هو بالاضافة الى ذلك عمل وحركة وسلوك ، فيجب على الانسان ان يترجم إيمانه بأعمال خارجية اي بتطبيق احكام الله على سلوكه.

والمشهور ان الصوم فرض على المسلمين بالمدينة المنورة في السنة الثانية للهجرة ،فانه عندما حلت السنة الثانية من الهجرة النبوية نزل الوحي على رسول الله في شهر شعبان معلناً بدأ فرض صيام شهر رمضان على المسلمين بقوله تعالى: (يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) الى آخر الآيات..

ولم يفرض على المسلمين صياماً قبل شهر رمضان كما لم يحصل اي تدرج في فريضة الصيام ،خلافًا لما ذهب اليه بعض المفسرين. فقد ذهب بعض المفسرين الى القول : بأن الله فرض الصيام على المسلمين بالتدريج ،حيث فرض في البداية ثلاثة ايام من كل شهر وصوم يوم عاشوراء، فكان المسلمون يصومون هذه الايام، ثم بعد ذلك وفي السنة الثانية للهجرة فرض صيام شهر رمضان ونسخ وجوب صيام تلك الايام. وقد استند البعض في هذا القول الى روايات لا تخلو من الاختلاف والتعارض.

والحقيقة ان البحث العلمي لا يساعد على هذا القول، بل ان التحقيق العلمي يظهر بطلان هذا الرأي وعدم صوابيته وذلك:



اولاً :لأن الروايات التي تحدثت عن ان النبي والمسلمين كانوا يصومون قبل شهر رمضان ثلاثة ايام من كل شهر ويوم عاشوراء، هي روايات ضعيفة السند ولا يمكن الاعتماد عليها. أضف الى ذلك ان تلك الروايات بحمد نفسها متعارضة ومتضاربة، فبعضها يقول : بأن تلك الايام كان صومها فريضة وواجباً والبعض يقول : ان النبي (ص) حين قدم المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء سألهم عن ذلك فاخبروه انه اليوم الذي اغرق الله فيه آل فرعون ونجى موسى ومن معه، فقال النبي (ص) نحن احق بموسى منهم فصامه وأمر المسلمين بصومه.

2 كيف كان الصوم عند الأمم السابقة ؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون / 183"



قلنا في المقال الأول إن هذه الآية تشير إلى ثلاثة أمور بصفة أساسية : الأمر الاول :ان الصَّيام فريضة دينية لازمة على جميع المسلمين المكلفين،والثاني:ان الصَّوم كان مفروضاً" على الامم السابقة،والثالث :فلسفة هذه العبادة التربوية والغاية منها.

وقد تحدثنا في المقال السابق فيما يتعلق بالأمر الأول، ونحدث في هذه الحلقة فيما يتعلق بالأمر الثاني:

تبين الآية ان فريضة الصوم ليست شيئاً اختصت به الشريعة الاسلامية ،اوشئاً فُرض على المسلمين خاصة ،وانما هي عبادة الهية فرضت على اتباع الديانات الماضية التي نُسخت بالشرعية الاسلامية .وهذا ما كشف عنه قوله تعالى في الآية (كما كتب على الذين من قبلكم) فالصيام فرض عليكم كما فرض على الأمم الماضية التي سبقتكم وسبقت ظهور الاسلام كأمة موسى وعيسى وغيرهم.

وقد يتخيل بعض الناس ان تشبيه الصوم المكتوب علينا بما كتب على الذين من قبلنا ، يوحي بأن الصوم عندنا وعندهم واحد ، من حيث وقته وعدد أيامه وخصوصياته وأوصافه ولكن ذلك مما لا تدل عليه الآية ولا يمكن اسفادته منها ، لان التشبيه في قوله تعالى (كما كتب على الذين من قبلكم) انما هو لبيان المشابهة في اصل تشريع الصوم فالله يريد ان يبين ان اصل الصوم الذي هو بمعنى الكف والامساك الذي فُرض علينا قد فُرض على الذين من قبلنا، فالتشبيه وارد لبيان هذه الجهة، وليس لبيان كيفية الصوم ولا وقته ولا عدد أيامه ولا لبيان نوعية الاشخاص الذين فرض عليهم الصيام من الامم السابقة.

إذاً اصل الصوم فرضه الله علينا نحن المسلمين كما فرضه على المؤمنين الذين كانوا من قبلنا من أتباع الشرائع السابقة. ولم يرد في القرآن الكريم شرح أو تفصيل عن طبيعة وخصوصيات الصوم الذي فرضه الله على السابقين في الشرائع السابقة. كما لم يعين القرآن الكريم الاشخاص او الامم الذين فرض عليهم الصيام من أتباع الديانات السابقة، فلم يبين القرآن من هم ؟ ولكننا نجد في القرآن الكريم حديثاً عن صوم الصمت فيما حدثنا الله به من قصة زكريا : (قال آتيناك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا).وكما في قصة مريم عليها السلام : فأما تريب من البشر أحأ فقولي إني نذرت الرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا).ولا يوجد

في التوراة والانجيل الموجودين عند اليهود والنصارى ما يدل على وجوب الصوم وفرضه وما هو موجود في التوراة والانجيل فيما يتعلق بالصيام انما هو مدح للصوم وتعظيمه وليس فرضه وجوبه.

ولكننا نجد المؤمنين بهذين الكتابين من اليهود والنصارى يصومون أياماً معدودة في السنة بأشكال مختلفة، فنجد لدى بعضهم نوعاً من الصوم الذي يمتنعون فيه عن الاكل والشرب في بعض ايام السنة، ونجد لدى البعض الاخر نوعاً اخر من الصوم كالصوم عن اللحم والصوم عن اللبن في بعض أيام السنة.

فالصوم عند اليهود مثلاً هو : الامساك عن الاكل والشرب ولم يفرض عليهم الا صوم يوم واحد في السنة كما ورد في عهد



اللاويين 16/29 . وكانوا في ذلك اليوم يلبسون المسوح اي الصوف وينثرون الرماد على رؤوسهم ويصرخون ويتضرعون وما شاكل ذلك من الممارسات التي كانوا يقومون بها اثناء الصوم في ذلك اليوم . وكان ذلك اليوم الذي يصومون فيه هو اليوم العاشر من الشهر السابع كما في عهد اللاويين . وكانت تسبق هذا اليوم تسعة ايام تسمى بايام التوبة حيث كانوا يتطهرون في تلك الايام تطهيراً يكفل لهم النقاء والطهارة في خلال السنة القادمة.

وكان اليهود يصومون بعد ذلك في مناسبات حزينة معينة، فكانوا يصومون

اليوم التاسع من الشهر الرابع من كل سنة حزناً بمناسبة استيلاء الكلدانيين على مدينة القدس، ويصومون اليوم العاشر من الشهر الخامس بمناسبة احتراق الهيكل، ويصومون اليوم الثالث من الشهر السابع لمصادفته ذكرى تخريب اورشليم، ويصومون اليوم العاشر من الشهر العاشر وهو يوم الذي ابتداء فيه حصار القدس. والخلاصة: ان اليهود يصومون يوماً في السنة وجوباً ويصومون اياماً اخرى في السنة بمناسبات مختلفة لاحزانهم ومآسيهم ، وقد كان الصوم عندهم من غروب الشمس الى مساء اليوم التالي.

واما النصارى : فالصوم مفروض وواجب عندهم في اوقات معينة وهو عند اكثرهم عبارة عن الامتناع عن الاكل من نصف الليل الى ظهر اليوم التالي، فالصوم عند الكاثوليك هو الامساك عن الطعام والشراب يومهم وليلهم ولا يأكلون الا قرب المساء واذا افطروا لا يشربون خمرًا ولا يتألقون في طعامهم . والصوم الواجب عندهم هو الصوم الكبير السابق لعيد الفصح، واما الصوم المستحب عندهم فهو كثير كصوم يوم الاربعاء وهو اليوم الذي حكم فيه على السيد المسيح ، وكيوم الجمعة وهو اليوم الذي صلب فيه المسيح كما يقولون . وكذلك صوم الايام الاربعة السابقة للميلاد ، وصوم يوم عيد انتقال السيدة العذراء وعيد جميع القديسين ، هذا ما كان عليه الكاثوليك سابقاً ولكن جرت تغييرات في وجوب الصوم عندهم حتى صار صوم كثير من الايام السابقة واجباً بدل ان يكون مستحباً، فمثلاً الآن يوجبون الصوم عن اللحم في يوم الجمعة إلا اذا صادف في هذا اليوم عيد من اعيادهم.

واما الروم الارثوذكس :فالصيام عندهم أكثر من الصيام عند غيرهم من المسيحيين ، فهم يصومون اليوم السابق لعيد الفصح ويصومون خمسة عشر يوماً قبل انتقال السيدة العذراء ويصومون اربعين يوماً قبل الميلاد.

واما البروتستانت :فالصوم عندهم سُنَّة لا فرض واجب، وهو عندهم الامساك عن الطعام مطلقا بخلاف سائر الطوائف المسيحية فان الصوم عندهم هو الكف عن بعض المأكولات كما ذكرنا.



واما الأرمن والقبط :فهم يصومون الاربعاء والجمعة من كل اسبوع الا ما وقع منهما بين الفصح والصعود، ولهم ايضاً عشرة اسابيع يصومونها كل سنة.

هذه خلاصة ما يمكن قوله بالنسبة الى الصيام عند الامم من اتباع الديانات السابقة. وبذلك نستطيع ان نجد لدى هؤلاء المنتسبين الى هذه الديانات بالرغم من تحريف كتبهم الدينية شواهد على ما جاء في القرآن الكريم من فرض الصيام على الامم السابقة (كما كتب على الذين من قبلكم).

إن هذا الاندفاع نحو هذه العبادة من قبل معظم اتباع الديانات السماوية وهذا الحب الكبير لها لدى جميع الامم حتى الوثنية منها، انما يدل على قيمة وفضل هذه العبادة وعلى ان الصوم من اهم الوسائل التي تقترب من خلالها الانسانية الى الله ومن اعظم الطرق التي ينبغي ان يسلكها الانسان لتهديب نفسه والتحلي بالاخلاق والفضيلة والابتعاد عن الشهوات والرذيلة.

3 ما الغاية من الصوم ولماذا فرض علينا؟!

فلسفة الصوم .. غايته التقوى



"يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون"، قلنا إن الآية تشير إلى أن الصيام فريضة دينية لازمة على لا المؤمنين المسلمين وحسب بل إنه فرض على اتباع الشرائع السابقة. وقد بينا فيما مضى هذا المضمون وشرحنا تاريخ هذه العبادة وكيفية ممارسة بعض المنتسبين للديانات السماوية لها. وبقي ان نبين الأمر الثالث من الامور الثلاثة التي بينها هذه الآية وهو : فلسفة هذه الفريضة الالهية.

ما هي فلسفة وغاية الصوم ؟!

فقد ذكرت الآية فلسفة وغاية الصوم في عبارة قليلة الالفاظ والكلمات ولكنها عميقة المحتوى ، تقول الآية (لعلكم تتقون) اي فرض عليكم الصوم رجاء ان تتقوا ومن اجل ان تحصلوا على التقوى . والتقوى هي عبارة عن ملكة نفسانية توجب قدرة النفس الانسانية على إمتثال ما أمر الله به، والابتعاد عما نهى الله عنه من المعاصي والذنوب.

فالصوم اذا اخلصتم فيه يدفعكم الى تجنب المحرمات واثقاء الوقوع فيها.

وتوضيح ذلك : ان الصوم هو عملية ردع للنفس عن شهواتها الغذائية واللذات الجسدية المباحة اطاعةً لله لأن الله أمر بذلك ، فممارسة هذه العملية تجعل الانسان قادراً على ردع نفسه ايضاً عن اللذات المحرمة لأن الله نهى عنها.

وبتعبير اخر: من يمارس الصوم ويمنع نفسه عن الاكل والشرب وسائر اللذات المادية التي اباحها الله، يتدرب على اتقاء المحرمات واجتنابها وتترى نفسه وارادته على الامتناع عن المعاصي والذنوب، لان من يستجيب لامر الله ويمتنع عن شهوات النفس المباحة كالاكل والشرب وغيره ويطيع الله في الكف عن ذلك فانه سوف يكون اكثر طاعة واستجابة لله في الكف عن المحرمات التي نهى الله عنها.

وبعبارة اخرى: الصوم يؤثر في الانسان من جهتين : فهو يربي في الانسان الارادة القوية التي تجعله قادراً على الامتناع عن المعصية ومخالفة أوامر الله ونواهيه من جهة، ومن جهة اخرى ينمي في الانسان الاحساس بوجود الله والشعور برقابة الله عليه.

اما كون الصوم يربي في الانسان الارادة القوية وملكة الصبر ، فلأننا في يوم الصوم نعيش الحرمان في ما نحب من مأكولات ومشروبات وملذات وشهوات، والنفس تلح علينا ونحن نتحمل الحرمان في ذلك كله ونصبر، نضغط على انفسنا ،نضغط على ارادتنا، نصبر ونحن نتألم، نتألم لان الطعام امامنا ولا نأكله ولان الشراب امامنا ولا نشربه، نتألم والجوع يفتك بكل اجهزتنا الجسدية والعطش يفتك بنا، ونصبر في شهر رمضان على ذلك كله تقرباً الى الله لان الله امرنا ان نصوم فيه عن كل ذلك . هذا الصبر وهذا التحمل يدرب الانسان على الصبر والتحمل في مجالات اخرى ويربي في الانسان الارادة، ارادة التحمل والصبر التي تستطيع من خلالها الامتناع عن المعصية عندما تأتيك المعاصي لتخاطب غرائزك ولتخاطب اطماعك ولتخاطب كثيراً من نوازعك الذاتية.

واما كون الصوم يربي في الانسان الأحساس بالله وبرقابته عليه، فلأن الصيام موكول الى نفس الصائم ولا رقيب عليه الا الله، انت في الصوم تشعر بأنك وحدك لان الصوم سر بين العبد وربه ، قد لا يُشرف ولا يطلع عليك احد غير الله، قد لا يراك اهلك ولا يراك الناس من حولك وقد تجوع وترى الاكل وترى الماء البارد والزوجة الحسنة تقول لك نفسك : ان لك ان تأكل لانه ليس هناك أحد تخافه او تحجل منه ولكنك لا تفعل ذلك ، لماذا ؟ لانك تقول لنفسك عندما تدعوك الى تناول الطعام ولا احد هناك ، وعندما تدعوك الى الشراب ولا احد هناك تقول لنفسك: صحيح لا احد هناك ، ولكن الله موجود يراقبني وهو اعلم مني بنفسي وهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، اذا كان الله يعلم ما لا اعلمه من نفسي فكيف اتستر من الله ، وهل يمكن ان اتستر من الله الذي لا ساتر يحجبه عن خلقه او يحجب خلقه منه وهو الذي يبصر من فوق عرشه ما تحت سبع أرضين ولا تغشى بصره الظلمة.!



إذاً، فالصوم الذي هو سر بين العبد وربه يجعل الانسان صاحب ضمير ويجعل الانسان يعيش الوازع الديني وينمي في الانسان الاحساس والشعور برقابة الله، ولذلك فهو يمتنع عن الطعام والشراب وسائر المفطرات في الحالات التي يكون فيها وحيداً لا يراه احد بدافع من هذا الشعور وبدافع من هذا الاحساس ، ويزداد هذا الشعور برقابة الله في غير اوقات الصيام وينعكس هذا المعنى على اجتناب سائر الشهوات المحرمة في بقية اشهر السنة، لان من يشعر برقابة الله عليه وهو صائم فلا يقدم على تناول المفطرات وهو وحده، ينمو هذا الشعور عنده

في غير شهر رمضان فلا يُقدم على تناول المفطرات وهو وحده ، ينمو هذا الشعور عنده في غير شهر رمضان فلا يقدم على اي محرم ولا يقدم على غش الناس ومخادعتهم ولا يقدم على اكل اموال الناس بالباطل ولا يحتال على الله بأكل الربا ولا يرتكب اي منكر في السر ولا في العلن ، فالصيام أعظم وسيلة لزيادة الشعور برقابة الله ولتنمية الاحساس والشعور بوجوده سبحانه وتعالى .

والخلاصة : ان الصوم يربي في الانسان الارادة القوية وينمي في الانسان الاحساس بالله ، ووجود هاتين الصفتين في الشخصية الانسانية، صفة الارادة وصفة الاحساس والشعور برقابة الله ، يجعل الانسان متماسكا امام المحرمات وقادرا على اتقائها، وبذلك تحصل للإنسان ملكة التقوى من خلال ممارسته لعبادة الصيام.

وهكذا فقد اراد الله من خلال العبادات التي فرضها على الناس وفي مقدمتها الصوم ان يصنع الانسان التقى الذي يعيش في الحياة ولا يحتاج الى سلطة تفرض عليه النظام والالتزام والاستقامة، بل ان شعوره بسلطة الله عليه وعلى الحياة يجعله يحاسب نفسه قبل ان يحاسبه الناس ، ويجعله يحاكم نفسه قبل ان يحاكمها الناس، ويجعله يضبط عليها بان لاتعتدي وان لا تظلم وان لا تسيء وان لا ترتكب الحماقات قبل ان يضبطها الناس. فمن صام واستطاع ان يحصل على التقوى فقد حصل على عمق الصوم ، اما من صام ولم يحصل على التقوى فانه يصدق عليه القول المأثور المروي عن رسول الله (ص) : **(رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والظمأ ، ورب قائم ليس له من قيامه الا العناء والسهر).**

ولذلك علينا ان نراقب انفسنا عندما نصوم ، ان نعرف انفسنا في كل يوم : هل استطعنا ان نتقرب الى الله ام اننا ابتعدنا عن الله؟ هل استطعنا ان يكون التزامنا بما احل الله وبما حرمه الله اكثر ام هو اقل من ذلك ؟ هل اننا نتحرك في خط التقوى ام اننا نتحرك في الخط المضاد لها ؟. لا بد ان نراقب انفسنا في كل ذلك حتى نستطيع ان نصل من خلال صيامنا الى الغاية التي اراد الله لنا ان نصل اليها في شهر رمضان وهي التقوى.

وفي كلمة **(لعلكم تتقون)** سر اخر فالله يريد ان يبين لنا من خلال هذه الكلمة ايضا ان فائدة الصوم وآثاره الايجابية ترجع الى الصائم وليس الى الله فالصائمون هم الذين يحصلون على نتيجة الصيام وهي التقوى والقدرة على اجتناب المعاصي والمحرمات التي ليست في مصلحة الانسان ، والله غني عن الناس وعن عبادتهم وعن صيامهم

(يا ايها الناس انزع الفقراء الى الله والله هو الفني الحميد) فاطر / 15....

4 للصوم فوائده، هل تقف عند محظور؟!

فوائد الصوم ونتائجه الاجتماعية والصحية

"يا ايها الذين آمنوا كنب عليكم الصيام كما كنب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون."

لا يزال الكلام في تفسير هذه الآية وقد ذكرنا فيما سبق أن الغاية من الصيام هي الحصول على التقوى بمعنى ان الصيام اداة ووسيلة يتدرب الانسان من خلالها على اجتناب المعاصي والمحرمات التي نهى الله عنها.



وقد عرفنا كيف ان الصوم يربي في الانسان الارادة القوية التي تمكنه من الضغط على شهواته وغرائزه واهوائه والسيطرة عليها. وكيف انه ينمي في الانسان الاحساس بوجود الله وبرقابه عليه فيحصل من خلال ذلك على ملكة التقوى ويتماسك امام المحرمات ويتقي الوقوع فيها. والتقوى ليست هي الفائدة الوحيدة التي يحصل عليها الانسان من خلال ممارسة هذه العبادة، فان للصوم فوائد اخرى اجتماعية وصحية ونفسية بالاضافة الى فائدته التربوية.

ونحن هنا نشير الى اهم تلك النتائج الاجتماعية والصحية كما اشارت اليها بعض النصوص والروايات الواردة عن النبي (ص) وعن أئمة اهل البيت عليهم السلام. اما الأثر الاجتماعي للصوم فهو لا يخفى على احد فالصوم درس في المساواة بين افراد المجتمع، لان جميع المكلفين يتساوون امام هذا الواجب الالهي، الاغنياء والفقراء والاقوياء والضعفاء، كل طبقات المجتمع تؤدي وظيفة الصوم بطريقة واحدة يتساوى فيها الجميع.

عن طريق الصوم يصبح الأغنياء يحسون بشكل مباشر بما يعانيه الفقراء المعسرون، ويدفعهم ذلك الاحساس الى مساعدتهم بالطريقة التي تحل مشكلة جوعهم. قد يمكن إشعار الاغنياء بما يعانيه الفقراء عن طريق الكلام والمخاطبة، ولكن القضية عندما تتخذ طابعاً حسيّاً ويقف الأغنياء الى جانب الفقراء ليحسوا بالجوع وليشعروا به فان احساس الاغنياء بمعاناة الفقراء والاهمهم يكون اشد واقوى وابلغ. فالله يريد للناس ان يحسوا بالجوع ليفكروا ان هناك جائعين، ليفهموا لسعات الجوع في مشاعر الجائعين، ليعرفوا معنى الجوع، فإذا عرفوا معنى الجوع واحسوه وذاقوا طعمه استطاعوا ان يفهموا مشكلة الجوع من موقع الاحساس به وبشكل فعلي.

إذاً الصوم يمنح هذه المسألة الاجتماعية الهامة لوناً حسيّاً، ولذلك فقد جاء في الحديث ان هشام ابن الحكم سأل الإمام الصادق (ع) عن علة الصوم والحكمة من تشريعه؟ فقال (ع) : "إنما فرض الله الصيام ليستوي به الغني والفقير وذلك ان الغني لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير وان الغني كلما اراد شيئاً قدر عليه، فأراد الله تعالى ان يسوي بين خلقه وان يُزيق الغني مسّ الجوع والألم ليرق على الضعيف ويرحم الجائع."



واما الاثار الصحية للصوم، فان اهمية الامساك عن الطعام في علاج انواع الامراض ثابتة في الطب القديم والحديث، والبحوث الطبية لا تخلو غالباً من الحديث عن هذه المسألة لان العامل في الكثير من الامراض هو الاسراف في تناول الاطعمة المختلفة.

فالمعروف ان المواد الغذائية الزائدة تتراكم في الجسم على شكل مواد دهنية وتدخل هي والمواد السكرية في الدم، وهذه المواد الزائدة تشكل ارضية صالحة لتكاثر انواع المكروبات والامراض، وفي هذه الحالة يكون الامساك عن الطعام لفترة معينة افضل طريق لمكافحة هذه الامراض وللقضاء على هذه الرواسب في الجسم.

الصوم يحرق الفضلات المتراكمة في الجسم وهو في الواقع عملية تطهير شاملة للبدن، اضافة الى انه استراحة مناسبة لجهاز الهضم وتنظيف له، وهذه الاستراحة ضرورية لهذا الجهاز الحساس والمنهمك في العمل طوال ايام السنة. ومن هنا ينبغي على الصائم ان لا يكثر من الطعام عند الافطار وفي السحور كي تتحقق الاثار والفوائد الصحية لهذه العبادة، والا فقد تكون معكوسة.

العالم الروسي سوفورين يعدد اثار الصوم وفوائده على صحة الانسان فيقول : "الصوم سبيل ناجح في علاج امراض فقر الدم وضعف الأمعاء والالتهابات البسيطة المزمنة والدمامل الداخلية والخارجية والسل والروماتيزم وتناثر الجلد وامراض العين ومرض السكري وامراض الكلى والكبد وغيرها. العلاج عن طريق الامساك لا يقتصر على الامراض المذكورة بل يشمل الامراض المرتبطة باصول جسم الانسان وخلاياه مثل السرطان والسفليس والسل والطاعون ايضاً. ولاجل كل ذلك فقد ورد عن رسول الله (ص) انه قال : صوموا تصحوا.

وعنه (ص): المعدة بيت كل داء والحمية رأس كل دواء.

وهنا قد يتسأل بعض الناس، اذا كان للصوم كل هذه الفوائد فلماذا لا نلمس ذلك في حياة بعض الصائمين؟ ولماذا لا نرى هذه النتائج الايجابية للصوم في حياة الصائمين؟. والجواب : ان هناك نماذج من الناس الذين يمارسون الصوم في مجتمعاتنا

يعتبرون شهر رمضان فرصة ومجالاً للسهر والسمر واللهو البريء وغير البريء ، فلا نشعر ونحن في هذا الجو اننا نعيش في هذا الشهر العظيم الذي اعدّه الله ليكون فرصة ومجالاً لتهديب النفس وتصحيح المواقف وتركيز الشخصية الاسلامية على اساس التقوى.

وهذه النماذج تتمثل في كثير من اولئك الذين يرتادون ما يسمى بالخيم الرمضانية والمقاهي التي جعلت من اجل ان يعيش الناس حياتهم في شهر رمضان لهواً وعبثاً بعيداً عن طاعة الله وبعيداً عن اهداف الصوم. والكثيرون من هؤلاء الناس يصومون طيلة النهار عن الاكل والشرب واللذات الاخرى فإذا جاء وقت الافطار اندفعوا ليمارسوا تلك اللذات التي يحسبون انهم حرّموا منها طيلة النهار فيحاولون التعويض عما فاتهم منها.



هؤلاء لا يصومون اساساً لان الصوم يرفع من انسانيتهم وقيمتهم ويظهر اجسامهم ويحرر ارادتهم.. وانما يصومون لاسقاط الواجب الذي لا يعرفون فائدته ولا يدركون وجه الحاجة اليه ، هؤلاء يصومون لان الصوم تحول الى عادة من عاداتهم التي يؤدونها في هذه الايام من كل سنة من دون ادراك لضرورتها ونتائجها وانعكاساتها على حياتهم الروحية والاجتماعية والصحية.

وفي مجتمعنا هذا، عندما يأتي شهر رمضان تتنوع المأكولات وتتميز عن بقية ايام السنة وتتعدد الموائد ويجد

بعض الناس في ذلك فرصة طيبة للأكل وملء البطون من الاطعمة المتنوعة منذ اللحظة التي يحين فيها موعد الافطار والى اخر لحظة من طلوع الفجر.

ان وجود مثل هذه النماذج في حياتنا يعطينا فكرة عن كيفية ممارسة بعضنا لعبادة الصوم وكيف اننا بذلك نفقد قيمة الصوم وفوائده ونتائج التروية والصحية وغيرها . ان شهر رمضان هو الفرصة التي جعلها الله لنا من اجل ان نحرر انفسنا من العبودية لبعضنا ومن العبودية لعاداتنا وشهوتنا ، ولو اننا مارسنا الصوم كما اراد الله لاستطعنا ان نحصل على كل فوائده واهدافه.

5 هل للصوم آليات مختلفة وأنواع متعددة؟!!

أشكال الصوم وأنواعه

"

يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون."

عرفنا فيما تقدم ان الغاية الكبرى من الصوم هي ان يحصل الانسان على ملكة التقوى. وما نريده هنا هو ان نتعرف على اشكال الصوم وانواعه التي تحقق لنا هذا الهدف وتصل بنا الى هذه الغاية. يمكن ان نتصور الصوم على ثلاثة اشكال : الصوم الشرعي المادي ، والصوم الاخلاقي ، والصوم الفكري الروحي.



الصوم الشرعي المادي: هو ان تمتنع عن الاكل والشرب وعن اللذات الجسدية وعن سائر المفطرات المذكورة في كتب الفقه. وهذا النوع من الصوم اذا فعلته والتزم به فقد امتثل الامر الالهي بالصوم وسقط عنه الواجب ،ومن المسلم به حصول منفعة الدنيا وثواب الآخرة من خلال هذا النوع من الصوم وان كان بحد ذاته لا يحقق جميع الفوائد المرجوة من الصيام.

وهناك نوع اخر من الصوم هو الصوم الاخلاقي : وهو يعني بالاضافة

الى صوم البطن عن الاكل والشرب ، أن تصوم الجوارح ،اي ان يصوم اللسان وان تصوم العين وان تصوم الاذن واليد والقدم وسائر اعضاء الانسان. وليس المقصود ان تصوم هذه الجوارح عن المحرمات فقط ،بل ان تصوم عن المحرمات وعن المكروهات وعن الشبهات ايضاً ،ان تصوم عن الكذب وعن النميمة وعن السب والشتيم وعن إيذاء الناس وعن ظلم الناس و الاعتداء على ارواحهم واحوالهم واعراضهم، وان تصوم عن كل ما يكرهه الله عز وجل.

ومن هنا فقد ورد عن علي (ع) ان الصوم الحقيقي هو الامساك عما يكرهه الله عز وجل ، قال (ع) : "ليس الصوم الامساك عن المأكول والمشرب ،الصوم الامساك عن كل ما يكرهه الله سبحانه ."

كما ورد في بعض الروايات: ان من يكذب في شهر رمضان المبارك او يغتاب احداً او يتهم احداً او يؤذي بلسانه احداً فانه لا صوم له ، يعني ان الصوم يفقد روحيته وقيمتة ومعناه ،ويتحول الى مجرد شكل من الاشكال وطقس من الطقوس التي لا يستفيد الانسان منها شيئاً لحياته ولا لتقواه ولا لسلوكه.

فقد ورد عن الصادق (ع) انه قال : " من كذب على الله ورسوله وهو صائم فقد نقض صومه ". وسمع رسول الله (ص) امرأة صائمة تسب جارية لها ، فدعا رسول الله بطعام ونادى تلك المرأة وقال لها : كلي ، فقالت : اني صائمة يا رسول الله ! فقال (ص) : كيف تكونين صائمة وقد سبيت جاريته ، إن الصوم ليس من الطعام والشراب . الكافي ج 4 / 87.



وعن الإمام الصادق (ع) انه قال : إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، إذا صمت فليصم سمعك وبصرك من الحرام والقبيح، ودع المرء وأذى الخادم ، وليكن عليك وقار الصيام، ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك . ج 4 / 87.... وعنه (ع) في حديث اخر انه قال : انما للصوم شرط يحتاج أن يحفظ حتى يتم الصوم ، وهو صمت الداخل ، اما تسمع ما قالت مريم بنت عمران : اني نذرت للرحمن صوماً فلن اكلم اليوم إنسياً ، يعني صمتاً ، فإذا صمتم فاحفظوا السنتكم عن الكذب ولا تغتابوا ولا تماروا ولا تكذبوا ولا تباشروا ولا تخالفوا ولا تغاضبوا ولا تسابوا ولا تشامتوا ولا تفاتروا ولا تجادلوا ولا تظلموا ولا تغفلوا عن ذكر الله وعن الصلاة، والزمو الصمت والسكوت والحلم والصبر والصدق ومجانبة أهل الشر ، واجتنبوا قول الزور والخصومة وظن السوء والغيبة والنميمة، وكونوا

مشرفين على الآخرة منتظرين لأيامكم منتظرين لما وعدكم الله به متزودين لقاء الله، وعليكم بالسكينة والوقار والخشوع والخضوع.

إذاً هذا نوع اخر من الصوم وهو ان تصوم صوماً اخلاقياً يجعلك تراقب نفسك في ما تريد ان تتكلم به كما تراقب نفسك فيما تريد ان تأكل وتشرب . وهكذا تراقب نفسك فيما حرمه الله عليك من الافعال والاعمال الاخرى ، لان الله جعل للانسان صومين ، صوماً صغيراً وصوماً كبيراً.

أما الصوم الصغير فهو ان تصوم في شهر رمضان عما ارادك الله ان تمسك عنه . واما الصوم الكبير فهو صوم العمر كله عن كل ما حرم الله عليك مما تقول ومما تفعل ومما تتحرك فيه من مواقف ومن علاقات على كل المستويات، والصوم الصغير مقدمة للصوم الكبير ، المعركة الصغيرة مع النفس في شهر رمضان هي مقدمة للمعركة الكبيرة مع النفس في غير شهر رمضان ، ولذلك لا بد لنا ان نعيش هذا النوع من الصوم في كل حياتنا.

والنوع الثالث من انواع الصيام هو الصوم الفكري الروحي ، وهو يعني بالإضافة الى صوم البطن والجوارح والاعضاء . ان يصوم القلب والعقل والفكر عن خواطر السوء . ان يصوم الانسان عن الافكار السيئة والنيات السيئة والدوافع السيئة.

ولهذا اذا اردت ان تكون الصائم التقي فلا يكفي ان تكون اعضاؤك صائمة عن الشر وعن الجريمة وعن الحرام بل المفروض ان تكون افكارك صائمة ومشاعرك صائمة وان تكون نياتك صائمة عن الشر وعن الجريمة وعن الحرام، لان للفكر وللمشاعر وللنيات صوماً ايضاً كما للجوارح والبطن صوماً، فان الانسان اذا اراد ان يفكر قد يفكر تفكير الخير الذي يبيّن للحياة سلامتها ويبيّن للناس قوتهم وحياتهم، وقد يفكر تفكير الشر عندما يخطط للشر وعندما يفكر في إيذاء الناس وفي العدوان عليهم وفي نهب اموالهم وفي الاعتداء على اعراضهم وحياتهم.



الله يقول لمن يفكر هذا التفكير الشرير ليصم فكره عن الشر وليتحرك تفكيره في مجالات الخير والاحسان. والانسان ايضاً قد يفكر تفكيراً عادلاً وقد يفكر تفكيراً ظالماً فيجب ان يصوم الفكر عن التفكير بظلم الناس، فلا تظلموا الناس في افكاركم عندما تحققون الانطباع في انفسكم عنهم من خلال الظن ومن خلال المصادر غير الموثوقة، ولذلك لا بد للانسان ان يكون عادلاً في انطباعاته عن الاشخاص وعن الناس.

ومن هنا فان المطلوب ان نصوم صوماً مادياً وان نصوم صوماً اخلاقياً وان نصوم صوماً فكرياً روحياً في

عقولنا وافكارنا ومشاعرنا، فالله يريدنا ان نصوم عن محبة اعداء الله، وان نصوم عن بغض اولياء الله، وان لا نحب إلا الطيبين المؤمنين الذين يطيعون الله في حياتهم، وان لا نبغض إلا أعداء الله في كل ما يخططون ويعملون له، ان لا نوالى الا المؤمنين وان لا نعادي الا الكافرين المستكبرين، ذلك هو صوم العقل والفكر والروح والمشاعر.

في شهر رمضان يجب ان يتقدم الانسان خطوة خطوة الى الامام لينتقل من الصوم المادي الى الصوم الاخلاقي ثم الى الصوم الفكري الروحي، ليصل الى اخر شهر رمضان وقد تلاشت خواطر السوء من قلبه وعقله وفكره، ليصل الى اخر شهر رمضان وقد بلغ مرتبة صفاء القلب فتملك الله قلبه وعقله وروحه، واصبح من اولئك الذين وصفهم القرآن بقوله تعالى : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار) النور / 37

6 متى يمكنك الإفطار في شهر رمضان المبارك؟

أحكام الصوم في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

"يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . إياما معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من إيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن نطوع خيراً فهو خير له وإن نطوموا خيراً لكم إن كنتم تعلمون". البقرة 183/ 184.

تحدثنا في بعض الحلقات الماضية حول بعض ما يتعلق بالآية الأولى . وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى : (أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً..) فان هذه الآية تبين الاحكام والتشريعات المتعلقة بفريضة الصوم ، وهي تشير الى عدة امور نذكرها في ثلاث نقاط:



النقطة الأولى : روي ان النبي (ص) حين قدم الى المدينة مهاجراً من مكة كان يصوم يوم عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر ،وان هذه الأيام فرضها الله على المسلمين في بداية الصوم ثم بعد ذلك نسخ وجوب صيامها بفرض صيام شهر رمضان بنزول قوله تعالى : "شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن" في الآية 185 من سورة البقرة.

وقد رأى بعض المفسرين استناداً الى هذه الرواية وغيرها من الروايات ان هذه الأيام الثلاثة ويوم عاشوراء هي المعنية بقوله تعالى في الآية (أياماً معدودات) .

ولكن هذا القول وكما ذكرنا في بعض الحلقات السابقة غير صحيح ولا يمكن الأخذ به ، وذلك:

اولاً : لان الروايات التي استندوا اليها ضعيفة من جهة السند وهي متعارضة ومختلفة من جهة المضمون.

وثانياً : ان الصوم عبادة للمسلمين جميعاً وامرها لا ينبغي ان يخفى على احد ، فكان يلزم ان يتواتر نقل هذا الأمر اعني وجوب صيام تلك الأيام على المسلمين الاولين ، مع انه لم ينقل ذلك بالتواتر ، ولو كان ذلك صحيحاً لورد عن اهل البيت عليهم السلام مع انه لم يرد عن طريقهم شيء من ذلك.

وثالثاً : ان ذكر يوم عاشوراء مع الأيام الثلاثة من كل شهر يكشف عن كذب الروايات الواردة في ذلك، فان يوم عاشوراء من الأيام التي اتخذها بنو امية عيداً لهم بعد ان قتلوا الإمام الحسين (ع) وذرية رسول الله (ص) في كربلاء، فاتخذوا منه يوماً مباركاً يصومون فيه وجعلوه عيداً ولعل ذلك من اجل ان يغطوا جريمتهم النكراء بحق اهل بيت النبوة عليهم السلام.

ولاجل كل ذلك فان الصحيح ان المراد بقوله تعالى : (أياماً معدودات) هو شهر رمضان الذي سيرد ذكره في الآية التالية، وانما عبر الله عن شهر رمضان هنا في هذه الآية بهذا التعبير (أياماً معدودات) من اجل بيان ان الايام التي فرض الله فيها الصوم بالنسبة الى سائر السنة انما هي ايام قليلة (اياماً معدودات) وليست كثيرة حتى يستصعب المؤمن القيام بها ويتناقل من الصيام فيها.

النقطة الثانية : ان قول الله تعالى : **(فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من ايام أخر)** يدل على ان الانسان اذا كان مريضاً او مسافراً فيجب عليه الافطار ثم يقضي الصوم بعد ذلك بعدد الايام التي افطرها.

فالمريض والمسافر معفوان من الصوم وعليهما ان يقضيا ما فاتهما من ايام الصوم في ايام اخرى. والمرض الموجب للافطار هو المرض الذي يضره الصوم وذلك بان يزيد المرض او يصير بسبب الصوم صعب العلاج او بحيث يتأخر الشفاء من المرض بسبب الصوم، ففي هذه الحالة على الانسان ان يفطر في شهر رمضان ثم يقضي الايام التي افطرها في ايام اخرى من السنة بعد الشفاء.



والمرجع في تحديد الحالة التي يجب الافطار فيها عند المرض الى ضمير الانسان، فهو اعلم بنفسه فيما اذا كان الصوم يزيد من مرضه او يؤخر شفائه، ولا يكفي قول الطبيب الا اذا كان موثوقاً وأميناً أو أوجب قوله الخوف عند الانسان من ازدياد المرض.

فقد روى زرارة بن أعين عن الإمام الصادق (ع) قال : سألت ابا عبد الله عن حد المرض الذي يفطر به الرجل او يدع الصلاة من قيام ؟ فقال (ع) : بل الانسان على نفسه بصيرة هو اعلم بما يطيقه .(من لا يحضره الفقيه-ج2 ص83 باب 40 ح 1). واما السفر فهو موجب للافطار بشروط خاصة ،كقطع المسافة وعدم الاقامة في مكان السفر عشرة ايام وما الى ذلك مما هو مذكور في كتب الفقه.

والآية كما ذكرنا تدل بشكل واضح على ان السفر موجب للافطار وهذا هو مذهب ائمة اهل البيت (ع). ولكن فقهاء المذاهب الاربعة ذهبوا الى جواز الافطار في السفر عند تحقق شروطه وليس الى وجوبه، مع ان الآية ظاهرة في وجوب الافطار في السفر كما هي ظاهرة في وجوب الافطار عند المرض الذي يضره الصوم.

النقطة الثالثة : ان فقرة (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) تشير الى حكم اخر من الاحكام المتعلقة بالصوم وهو حكم اولئك الذين يستطيعون الصوم ولكن لا يستطيعونه إلا بجهد ومشقة وتعب كبير بحيث يستنفد الصوم جميع قواهم وطاقاتهم، كالتاعين في السن والمصابين بمرض العطاش الذين يجهدهم الصوم ، فان مثل هؤلاء لا يجب عليهم الصوم بل يجوز لهم أن يفطروا ولا يكلفون بقضاء ما فاتهم وانما يكتفون بدفع فدية بدلاً عن كل يوم افطروا فيه ، والفدية هي عبارة عن طعام يدفعونه الى مسكين بمقدار ما يشبعه.

وقد ورد عن الإمام الباقر (ع): تفسير هذه الجملة من الآية بالشيخ الكبير والانسان المريض بكثرة العطش والمرأة التي تخاف على ولدها اذا كانت حاملاً او مرضعاً بحيث يؤثر الصوم في حليبها ، فإن هؤلاء حسب الآية يجوز لهم الافطار ويدفعون الفدية الى مسكين بدلاً عن كل يوم افطروا فيه في شهر رمضان. ثم تقول الآية (فمن تطوع خيراً فهو خير له) اي من تطوع للاطعام اكثر مما هو واجب عليه بان يعطي المسكين من الطعام ازيد من الفدية الواجبة عليه فهو خير له.

وفي الختام تبين الآية حقيقة اخرى هي : (وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون



وقد اختلفت وجهة نظر المفسرين في تفسير وبيان المراد من هذه الجملة ، فبعضهم يرى ان الظاهر منها هو انها خطاب لأولئك الذي يجهدهم الصوم والقضاء فتباح لهم الفدية بدلاً عن ذلك..هي خطاب لهم لاعلامهم بان الفدية وان كانت جائزة بدلاً عن كل يوم افطروا فيه، إلا ان الصوم خير لهم إن كانوا يعلمون، لما فيه من النتائج الروحية والعملية المؤثرة في حياتهم

.بينما يرى البعض الآخر من المفسرين ان عبارة (وان تصوموا خير لكم) هي خطاب موجه الى كل الصائمين المؤمنين وليس الى مجموعة خاصة.

ان هذا الخطاب جاء ليؤكد مرة اخرى على فلسفة الصوم وعلى اهميته وعلى فوائده وعلى ان هذه العبادة كسائر العبادات لا تزيد الله عظمة او جلالاً، بل تعود كل فوائدها ونتائجها التربوية والروحية على الناس. فأن تصوموا ايها المؤمنون وتطيعوا الله في هذا الواجب الالهي وتؤدوا هذه الفريضة، امتثالاً لامر الله وابتغاءً لمرضاته فذلك خير لكم في الدنيا والاخرة إن كنتم تعلمون.

7 لماذا اختار الله شهر رمضان للصوم من بين سائر شهور السنة؟

نزول القرآن الكريم في شهر رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقا..

يذكر بعض المفسرين ان قوله تعالى في هذه الآية (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) هو بيان للأيام المعدودات في الايات السابقة (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياماً معدودات) فالمراد بالايام المعدودات التي كتب عليكم صيامها هي شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن. وشهر رمضان هو الشهر التاسع من شهور السنة القمرية الهجرية ، ولم يذكر اسم شهر من الشهور في القرآن الا اسم شهر رمضان .



وهنا قد يتسأل الكثيرون من الناس : لماذا اختار الله شهر رمضان شهراً للصوم من بين سائر شهور السنة؟.

والجواب : إنما اختير هذا الشهر شهراً للصيام لانه يمتاز عن بقية الشهور بعدة امور:

اولاً : بنزول القرآن فيه ، فقد تشرف هذا الشهر العظيم

، واحتل هذه المكانة المرموقة لنزول القرآن فيه وهذا ما اشارت اليه الآية (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن).

ثانياً : بنزول الكتب السماوية فيه، فإن كل الكتب السماوية من صحف ابراهيم والتوراة والزبور والانجيل والقرآن نزلت في هذا الشهر كما جاء في الروايات الاسلامية. فقد ورد عن الإمام الصادق (ع) انه قال : نزلت التوراة في ست مضين من شهر رمضان، ونزل الانجيل في اثني عشرة مضت من شهر رمضان، ونزل الزبور في ثمان عشرة من شهر رمضان ، ونزل الفرقان في ليلة القدر.

ثالثاً : ان في هذا الشهر تقدر فيه جميع امور العباد ، وتقسم فيه الارزاق كما قال تعالى : " فيها يفرق كل امر حكيم " كما ان فيه القضاء المبرم الذي لا يرد ولا يبدل . بالاضافة الى ان هذا الشهر هو افضل الشهور على الاطلاق كما ورد في خطبة رسول الله (ص) في اخر جمعة من شعبان حيث قال في بيان فضل هذا الشهر العظيم : " أيها الناس إنه قد اقبل

اليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة ، شهر هو عند الله افضل الشهور وايامه افضل الايام ولياليه افضل الليالي وساعاته افضل الساعات. ولاجل ذلك كله فقد اختصه الله بالصيام من بين سائر الشهور.

ومهما يكن فان الاية التي نحن بصدد تفسيرها ، تدل بوضوح على ان القرآن الكريم أنزل على رسول الله (ص) في شهر رمضان الا انها لم تعين في اي وقت نزل فيه حيث تقول : شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس ، فلم تعين اليوم الذي نزل القرآن فيه من هذا الشهر ولا الليلة ، ولكن ورد في اية اخرى انه نزل في ليلة مباركة ، قال تعالى في سورة الدخان : " إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين " الاية 3. وفي اية اخرى ذكر الله انه نزل في ليلة القدر حيث قال تعالى في سورة القدر : " إنا أنزلناه في ليلة القدر ."



فهذه الآيات جميعها تدل على ان القرآن أنزل في ليلة القدر التي هي ليلة مباركة في شهر رمضان. وهنا قد نتساءل : كيف يكون نزول القرآن على رسول الله في شهر رمضان كما هو صريح هذه الآية مع ان المعروف ان النبي (ص) قد بعث بالقرآن ، وان البعثة انما كانت في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب وليس في شهر رمضان وان اول ما انزل عليه اقرء باسم ربك الذي خلق، فكيف يمكن الانسجام والتوفيق بين هذه الآية وبين ذلك؟؟.

وقد يطرح السؤال او الاشكال بنحو اخر وهو ان الايات

المتقدمة تدل على نزول القرآن في شهر رمضان كما قلنا ، بينما ظاهر ايات اخرى كقوله تعالى في سورة الاسراء : " وقرانا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً " الاية 106.

هذه الاية تدل بظاهرها على ان القرآن نزل تدريجياً على مدى ثلاث وعشرين سنة هي مدة دعوة النبي (ص) الى الله ، كما ان الواقع التاريخي المتواتر يدل على ان القرآن نزل بشكل مفرق خلال هذه المدة ايضاً، ألا يدل ذلك على التناهي بين الايات الواردة حول كيفية نزول القرآن؟ وكيف يمكن التوفيق بين هذه الايات؟.

والجواب : ان نزول القرآن على رسول الله كما في بعض الروايات كان على نحوين وان ذلك حدث مرتين:

في المرة الاولى : نزل القرآن كله دفعة واحدة على رسول الله في شهر رمضان وفي ليلة القدر منه بالذات.

وفي المرة الثانية :نزل القرآن بشكل تدريجي على رسول الله على مدى ثلاث وعشرين سنة حسبما كانت تقتضي المصلحة ،وكان ابتداء نزوله عندما بعث رسول الله في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب ،واستمر بالنزول الى ان توفي النبي (ص).

فعندما تقول الآية التي نحن بصدد تفسيرها ان القرآن انزل في شهر رمضان فانها تشير بذلك الى النزول الدفعي في المرة الاولى ،وعندما يقال ان القرآن نزل منذ بداية البعثة في السابع والعشرين من شهر رجب فان المقصود بذلك هو النزول التدريجي في المرة الثانية،فإن ابتداء نزول القرآن بشكل تدريجي كان في السابع والعشرين من شهر رجب وهو اليوم الذي بعث فيه النبي واستمر حتى وفاة النبي(ص) ، وبذلك يرتفع الاشكال ولا يكون هناك اي تناف بين الايات.

ويمكن الاجابة عن التساؤل او الاشكالية المطروحة بنحو اخر اكثر تفصيلاً : وذلك بان نقول انه ورد في القرآن الكريم بالنسبة الى كيفية نزول القرآن تعبيران وكلمتان،ففي بعض الايات وردت كلمة (إنزال) كما في الآية (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن) وكما في قوله تعالى (انا انزلناه في ليلة القدر) وفي آيات اخرى وردت كلمة (تنزيل) كما في قوله تعالى (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً) والفرق بين الانزال والتنزيل ان الانزال يتم دفعة واحدة واما التنزيل فيتم تدريجياً وعلى دفعات.

ويظهر من ايات القرآن ان الحقيقة القرآنية هي حقيقة واحدة محكمة وغير مفصلة وغير مجزأة،وانما التفصيل والتجزئة عرضت على هذه الحقيقة القرآنية بارادة الله وحكمته بعد بعثة النبي (ص).

يقول الله تعالى : كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير . هود الآية 1.

ويقول الله تعالى في موضع اخر : انه لقرآن كريم في كتاب كنون . فالقرآن مكنون في كتاب عند الله ، فهذه الآية والآية التي قبلها وغيرها تدل على ان الحقيقة القرآنية حقيقة واحدة، وقد عرض عليها بعد بعثة النبي (ص) صفة التفصيل الى سور وايات وجمل وكلمات وحروف.

وبعد هذا البيان يتضح ان الحقيقة القرآنية الواحدة الموجودة عند الله والتي هي محكمة وغير مفصلة ولا مجزأة،هذه الحقيقة القرآنية انزلت في شهر رمضان وفي ليلة القدر بالذات على قلب رسول الله (ص) دفعة واحدة وجملة واحدة قبل ان يطرأ عليها التفصيل وهذا هو المقصود بقوله تعالى في الآية (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن) وقوله تعالى (انا انزلناه في ليلة القدر).

وفصلت الحقيقة القرآنية الواحدة بعد ذلك وبدأت تنزل بشكل تدريجي على النبي (ص) وهي مفصلة ومجزئة الى سور وآيات وكلمات وحروف ،في مدة بعثته الشريفة طيلة ثلاث وعشرين سنة حسب الحاجات والمواقف التي كانت تواجه الرسالة الاسلامية ،وكان ابتداء نزول القرآن بشكل تدريجي مفصلاً ومجزئاً في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب وكان اول ما نزل هو القسم

الاول من سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق، وهذا هو المراد بالتنزيل في مثل قوله تعالى : (وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً)



وعلى هذا الاساس يكون القرآن قد انزل مرتين : مرة في ليلة القدر في شهر رمضان دفعة واحدة ، ومرة اخرى بشكل تدريجي حيث استمر النزول فيها ثلاثاً وعشرين سنة هي مدة بعثته الشريفة وكان ابتداء النزول في هذه المرة بسورة القلم اقرأ باسم ربك الذي خلق في اليوم السابع والعشرين من رجب. هذا كله فيما يتعلق بالمقطع الاول من الآية اعني قوله تعالى : (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن.)

واما المقطع الثاني من الآية اعني قوله تعالى : (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) فقد ذكر الله فيه ثلاث خصال للقرآن الكريم:

الخصلة الاولى : ان القرآن كتاب هدى للناس ، يكشف للناس عن طريق الحق والصواب والخير في حياتهم ، وذلك بما اشتمل عليه من مبادئ وقيم واحكام وتشريعات وقوانين ..

والخصلة الثانية : اشتمال القرآن على البينات الواضحة لكل فرد ، فالقرآن آيات بينات اي واضحات لا لبس فيها ولا غموض ولا ايهام ، توضح للناس حقائق الاشياء ودقائقها بما يزيل كل شبهة ، وهذه البينات هي شواهد وهدايات شتى هدايات في طريق الاخرة وهدايات في طريق الدنيا.

والخصلة الثالثة : انه فرقان ، أي فيه من الحقائق والشواهد ما يفرق ويميز بين الحق والباطل.

ولاجل ذلك كله فان القرآن الكريم يجب ان يأخذ مكانه في حياتنا ليكون في صميم هذه الحياة وليس على هامشها ، ان نجعله القدوة والاسوة فتدبر فيه ونتأمل في معانيه ونعمل به وننفذ كل أوامره ونطبق كل تعاليمه.

8 ما هي أفضل الأعمال في شهر رمضان المبارك؟!

فضل تلاوة القرآن

عن الباقر (ع) أن رسول الله قال : " من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الفالين ، ومن قرأ خمسين آية كتب الذاكرين ، ومن قرأ مئة آية كتب من القانتين ، ومن قرأ مئتي آية كتب من الخاشعين ، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين ."

قال الله تعالى : **" فاقروا ما تيسر من القرآن "**، شهر رمضان هو شهر القرآن لأن القرآن نزل فيه . والقرآن الكريم هو الكتاب الالهي الذي انزله الله على نبيه محمد بن عبد الله (ص) ليكون معجزته الكبرى، التي تدل على صدق نبوته ورسالته، وليكون مصدر هداية الناس الى طريق الله والإيمان والحق، وليكون الدستور الحي في حركتها وفي حياتها.



وقد ذكرنا في الحلقة السابقة ان القرآن نزل على رسول الله دفعة واحدة في شهر رمضان وفي ليلة القدر منه بالذات وانه نزل مرة اخرى تدريجياً منذ بداية البعثة النبوية في اليوم السابع والعشرين من رجب وانه استمر بالنزول التدريجي طيلة ثلاث وعشرين سنة هي مدة الدعوة الاسلامية.

ولذلك فقد وُصف هذا الشهر المبارك ،شهر رمضان ،بشهر القرآن لنزول القرآن فيه ، واكتسب قداسه وحرمة وفضله من فضل القرآن وعظمته وسمو مقامه، ويكفي القرآن عظمة ومنزلة وفخراً وشأناً انه كلام الله العظيم،ومعجزة نبيه الكريم، وان آياته هي التي تكفلت بهداية الناس في جميع امورهم وشؤونهم ،وهي التي ضمنت لهم الحصول على الغاية القصوى ،والسعادة الكبرى في الدنيا والاخرة.

يقول تعالى:(**كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد**). ويقول تعالى : (**هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**). فكل آية من آياته هي منبع غزير بالهداية والموعظة الحسنة، وكل كلمة من كلماته هي مصدر من مصادر الارشاد والرحمة والتربية ،فالانسان الذي يريد ان يرقى الى السعادة الخالدة والى الاطمئنان والسلام،والانسان الذي يريد ان يريح الدين والدنيا عليه ان يتعاهد القرآن بان يجعل القرآن عهده وكتابه الذي ينظر فيه آناء الليل واطراف النهار ،وان يجعل آياته ومفاهيمه في ذاكرته وتفكيره وروحه ،ليعمل به ويسير على ضوئه ونهجه ونوره.

وقد جاءت الآيات التي قرأناها في بداية الحديث لتؤكد على هذه الفكرة : على قراءة القرآن وتلاوته وترتيله والتدبر في معانيه. فالآية الاولى تؤكد على قراءة القرآن فتقول : (فاقرؤوا ما تيسر من القرآن) والمقصود هو قراءة ما يتمكن منه الانسان من آياته وسوره. وقد وردت احاديث كثيرة عن رسول الله وعن ائمة اهل البيت صلوات الله عليهم في فضل تلاوة القرآن وفي بيان فوائد القراءة في الدنيا والاخرة.

فقد ورد عن الباقر (ع) ان رسول الله قال : من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ خمسين آية كتب الذاكرين ، ومن قرأ مئة آية كتب من القانتين ، ومن قرأ مئتي آية كتب من الخاشعين ، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين. كما ورد عن الإمام الصادق (ع) انه قال : (القرآن عهد الله الى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم ان ينظر في عهده وان يقرأ منه في كل يوم خمسين آية).



وقال (ع) : ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه وتجارته اذا رجع الى منزل ان لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن فيكتب له مكان كل آية يقرأها عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيئات. وفي حديث آخر عنه (ع): عليكم بتلاوة القرآن فان درجات الجنة على عدد آيات القرآن ، فاذا كان يوم القيامة ، يقال لقارئ القرآن إقرأ وارق، فكلما قرأ آية رقى درجة.

وقد دلت جملة من الاحاديث على ان القراءة في المصحف افضل من القراءة غيباً عن ظهر قلب.

فقد سأل اسحاق بن عمار الإمام الصادق (ع) قال له : جعلت فداك إني احفظ القرآن عن ظهر قلبي اي غيباً فأقراه عن ظهر قلبي افضل او انظر في المصحف افضل؟ فقال (ع) : لا، بل أقرأه وانظر في المصحف فهو افضل أما علمت ان النظر في المصحف عبادة. وقال في نص آخر : من قرأ القرآن في المصحف متع ببصره وخفف عن والديه وإن كانا كافرين.

وقد ارشدتنا بعض الروايات الى فضل قراءة القرآن في البيوت على القراءة في المساجد والاماكن الاخرى الخاصة بالعبادة. ولعل السر في ذلك هو ان الله يريد للقرآن ان تنتشر مفاهيمه واحكامه وقوانينه من خلال انتشار قراءة القرآن في البيوت، فان الرجل اذا قرأ القرآن في بيته تعتاد المرأة ان تقرأه ويعتاد الطفل ان يقرأه وتعتاد الاسرة ان تقرأه ، فينتشر القرآن في كل بيت وتصبح على لسان كل فرد من افراد الاسرة ، اما اذا جعل لقراءة القرآن اماكن خاصة فان القراءة لا تنتهي لكل أحد وفي كل وقت في تلك الاماكن الخاصة.

وقد اكدت بعض الاحاديث على ان القراءة في البيوت تترك آثاراً ايجابية كبيرة في تلك البيوت. فقد ورد في الحديث : ان البيت الذي يُقرأ فيه القرآن، ويذكر الله فيه تكثر بركته، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويضيء لاهل السماء كما يضيء الكوكب الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله فيه، تنقل بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين.

ولا ينبغي ان يعلق القرآن في البيوت او في المحال التجارية والمؤسسات او في السيارات لمجرد الزينة كما يفعل الكثيرون منا من دون ان نقرأ فيه ، فانه بالرغم من ان وضع القرآن في هذه المواضع مستحب لانه يطرد الشياطين منها كما في بعض الاحاديث ، الا انه ينبغي ان لا يترك ليأكله الغبار من دون ان نقرأ فيه وتندبر في معانيه. فقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق (ع) : ثلاثة يشكون الى الله عز وجل : مسجد خراب لا يصلي فيه اهله، وعالم بين جهال ، ومصحف معلق قد وقع عليه غبار لا يقرأ فيه.

وهناك آداب لتلاوة القرآن لا بد أن تراعيها اثناء ذلك وهي : ان تكون طاهر البدن والثياب ، وان تكون متوضئاً لانه لا يجوز مس ايات القرآن وكلماته من دون وضوء ، وان تكون خاشعاً متأدباً حال القراءة، وإذا اردت التلاوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم ابدء بالقراءة.

ولا بد ان ننتبه هنا الى شيء اساسي وهو انه ليس المراد بالقراءة والتلاوة في الايات والاحاديث التي اكدت على قراءة القرآن وبينت فضل تلاوته ليس المقصود مجرد قراءة الالفاظ والكلمات او القراءة السطحية الخالية من التفكير والتأمل والتدبر في معاني الايات ومضمونها ومحتواها، بل المقصود هو القراءة الواعية التي يتفهم من خلالها الانسان معاني القرآن ومعارفه ومفاهيمه واحكامه.

القراءة التي تبعث على التفكير والتدبر والتعمق في معاني القرآن ، والتدقيق في موضوعاته من اجل الاستفادة والعمل ، القراءة

التي يتعلم من خلالها الانسان كيف يبني ذاته وشخصيته وكيف يقوي ايمانه والتقوى ، وكيف يهذب نفسه ويحسن اخلاقه وسلوكه . وقد قال تعالى : أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها. ولذلك فان على قارئ القرآن ان يفكر في غاية كل آية يقرأها، وفي هدف كل كلمة ينظر فيها.

ولهذا فقد ورد : ان الصحابة كانوا يأخذون من رسول الله (ص) عشر آيات، فلا يأخذون عشرة اخرى حتى يعلموا ما في العشرة الاولى من العلم والمعرفة والعمل . وقد روي عن الإمام زين العابدين (ع) انه قال : " آيات



القرآن خزائن ، فكلما فتحت خزينة ينبغي لك ان تنظر ما فيها " . وهكذا على من يتلو القرآن ان يقدر وهو يقرأ آياته انه هو المقصود بكل امر وبكل نهي من اوامر القرآن ونواهيه، ان يعيش روحية القرآن وأجوائه وحالاته.

وكما قال امير المؤمنين (ع) وهو يصف المتقين وحالهم مع القرآن : "أما الليل فصافون اقدامهم ،تالين لاجزاء القرآن يرتلونّها ترتيلاً، يحزنون به انفسهم ،ويستثيرون به دواء دائهم، فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً ،وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً وظنوا أنّها نصب أعينهم ، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ،وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في اصول آذانهم "

9 أربعة لا يستجاب لهم دعوة، من هم؟؟!

الدعاء علاقة بين العبد وربه

بسم الله الرحمن الرحيم

"إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ"
البقرة/186.

هذه الآية هي واحدة من الآيات التي تتناول موضوع الدعاء باعتباره أحد وسائل الارتباط والعلاقة بين العباد وبين الله سبحانه وتعالى.



ومجيء هذه الآية في سياق الحديث عن الصوم وعن شهر رمضان، يشعرا بأهمية الدعاء في شهر الصيام ويعطي للدعاء مفهوماً جديداً هو أن الدعاء والتوجه الى الله عبادة كعبادة الصيام بل هو روح العبادة ومخ العبادة.

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية : ان رجلاً سأل النبي (ص) عن الله عز وجل :أهو قريبٌ ليناجيه بصوت خفي أم بعيد ليناديه بصوت مرتفع ؟ فنزلت هذه الآية لتبين وبأسلوب يشعرا بعطف الله علينا عدة امور:

اولاً :ان الله شديد العناية بالداعين والمقبلين عليه والمتوجهين اليه لان الداعين عباد الله، ضعفاء وفقراء، وهم بحاجة الى معونته ومساعدته وعطفه عليهم ورأفته بهم.

ثانياً : ان الله قريب من الانسان لانه محيط به ومالك له وسلطان عليه، والمالك قريبٌ من مملوكه ولذلك فان الله أقرب الى عبده من كل شيء بحيث انه أقرب اليه من نفسه كما قال تعالى : ونحن اقرب اليه من حبل الوريد . ق /16

والمقصود بالقرب هنا القرب المعنوي وليس المادي او المكاني .اي ان الله قريب من العباد يسمع دعائهم ويطلع على اسرار قلوبهم وخطرات نفوسهم ويحيط بكل امورهم ، واذا كان الله قريبٌ بهذه الدرجة من عباده فهو قادرٌ على اجابة دعائهم وقضاء حاجاتهم الدنيوية والآخروية:(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ).

وثالثاً : اذا كان الله بهذه المنزلة من القرب الى عباده وهو قادر على اجابة دعائهم فما علينا إلا أن نتوجه الى الله بالدعاء وان نؤمن بوعده الله لنا بالاجابة تقول الآية : (فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون). اي فليستجيبوا الى دعوتي الى الدعاء وليؤمنوا بوعدي لهم بالاجابة إذا دعوا باخلاص وصدق، لعلهم يهتدون بالدعاء الى الرشيد والصالح.

والخلاصة : ان الله في هذه الآية يأمر عباده بالدعاء ويعددهم الاجابة.

وما نريده هنا وبمناسبة هذه الآية هو ان نتعرف على حقيقة الدعاء وأهميته والعلاقة بينه وبين العمل.

فالدعاء هو : إقبال العبد على الله والتوجه الى الله واللجوء اليه والتفرغ إليه وطلب الحاجة منه وطلب تهيئة الاسباب والعوامل الخارجة عن قدرة الانسان من الله ، لكونه هو الذي يملك القدرة اللامتناهية وهو القادر على كل شيء.

وقد اكد الاسلام بشدة على الدعاء وطلب الحاجات من الله ونشرها بين يديه وابتغاء رحمته.

كما اكد القرآن ان قيمة العبد عند الله انما هي بدعائه (قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم) اي لا يعتني بكم ربي ولا يقيم لكم وزناً لولا دعاؤكم ، ويؤكد القرآن من جهة اخرى ان الامتناع عن الدعاء هو إعراض عن الله واستكبار عن عبادة الله (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين). المؤمن /60.

وبالاضافة الى القرآن فان هناك تأكيداً كبيراً على اهمية الدعاء في الروايات المنقولة عن رسول الله (ص) وعن الأئمة المعصومين عليهم السلام.

ونحن نستطيع ان نقف على بعض ما ورد في تلك الاحاديث من خلال النقاط التالية:

اولاً : ان الدعاء هو العبادة ، بل لا يوجد في العبادات عبادة تقرب الانسان الى الله أكثر من الدعاء فقد روي عن الإمام الصادق (ع) انه قال : عليكم بالدعاء فانكم لا تتقربون بمثله).

ثانياً : في الحديث عن الإمام الصادق (ع) انه سئل : ما تقول في رجلين دخلا المسجد جميعاً، كان احدهما أكثر صلاة والآخر أكثر دعاءً فأيهما أفضل؟؟ فقال عليه السلام : كلُّ حسن ، فقال السائل : اعرف ذلك ولكن أيهما أفضل؟ فأجاب الإمام (ع) : اكثرهما دعاءً أما تسمع قول الله تعالى : (ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين).



ثالثاً : في حديث عن الإمام الباقر (ع) انه سئل أي العبادة أفضل؟؟
فأجاب بقوله : (ما من شيء أحب الى الله من أن يُسأل
ويطلب ما عنده، وما أحد أبغض الى الله عز وجل ممن يستكبر
عن عبادته ولا يسأله ما عنده).

رابعاً : لقد ورد في بعض الروايات : أن الدعاء أفضل حتى من تلاوة
القرآن ، "وان عند الله عز وجل منزلة ودرجة لا تنال إلا بالدعاء
والمسألة، ولو أن عبداً سد فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً ، فاسأل
تعط ، فإنه ليس من باب يقرع ألا ويوشك أن يفتح لصاحبه. "

ان هذه الاحاديث اذا نظرنا اليها نظرة تحليلية قصيرة ، نستطيع أن ندرك عمق مضمون هذه الاحاديث وأثر الدعاء ونتائجه
على شخصية الانسان وحياته، فالدعاء يقود الانسان من جهة الى معرفة الله عز وجل ، وهذه المعرفة هي أفضل رصيد للانسان
في وجوده وفي حياته.

ومن جهة ثانية : يدفع الدعاء الانسان الى الاحساس العميق بالحاجة والفقر والاضطرار الى الله ويبعده عن التعالي والغرور
الذين يشكلان ارضية مناسبة للانحراف عن طريق الحق ، فالمستكبرون والمغرورون والمعتدون بانفسهم هم الذين يتعدون عن
الدعاء ، اما الذي يشعر بالفقر الى الله والاضطرار والحاجة اليه فهو الذي يدعو الله عز وجل ويسأله حاجته.

ومن جهة ثالثة، يعمق الدعاء لدى الانسان الشعور بأن الله هو نبع النعم وهو مصدر الفيض والعطاء والخير
والاحسان، ويدفعه الى إقامة علاقة معنوية قوية مع الله سبحانه.

ويقوم الدعاء من جهة رابعة بتربية نفس الانسان وتزكيتها وتهذيبها لان الانسان الداعي يعلم ان للاجابة شروطها ومن
شروطها الاخلاص في النية وصفاء القلب وتطهير الروح والتوبة من الذنوب والعمل بالتكاليف والمواثيق الالهية.

واخيرا يركز الدعاء في نفس الانسان الداعي عوامل المنعة والارادة والثقة بالله والاعتماد عليه ويجعله ابعد الناس عن اليأس والقنوط او التسليم للعجز. وهناك مسألة أساسية ومهمة هي أن الدعاء لا يعني ان يتخلى الانسان عن العمل والسعي وبذل الجهد، وانما حسبما تفيد الروايات والاحاديث في هذا المجال على الانسان ان يسعى ويعمل وي بذل كل جهده بالاتجاه الذي يدعو له وان لا يكتفي بالدعاء. ولذلك فلو جعل الانسان الدعاء بديلاً عن العمل ووقف ليدعو الله فقط من دون ان يسعى ويعمل فسوف لا يستجاب دعاؤه.



فقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق (ع) انه قال: اربعة لا يستجاب لهم دعوة: رجل جالس في بيته يقول اللهم ارزقني فيقال له: ألم امرك بالطلب؟ ورجل كانت له امرأة فدعا عليها فيقال له: ألم أجعل أمرها إليك؟ ورجل كان له مال فافسده فيقول: اللهم ارزقني فيقال: ألم آمرك بالاقتصاد؟ ألم آمرك بالاصلاح؟ ورجل كان له مال فأداناه بغير بينة فيقال له: ألم أمرك بالشهادة؟.

اذن الدعاء لا يعني ابدأً ان يتخلى الانسان عن السعي والعمل والفعالية والنشاط واستخدام الوسائل الطبيعية واللجوء بدل ذلك الى التوسل بالدعاء والعوامل الغيبية، بل المقصود أن نبذل نهاية جهدنا للاستفادة من كل الوسائل الموجودة وبعد ذلك ان انسدت الطرق امامنا نلجأ الى الدعاء ونتوجه الى الله وبهذا التوجه نحى في نفوسنا روح الأمل والحركة ونستمد من الله عن طريق الدعاء العون الكبير لقضاء حاجاتنا وحل مشكلاتنا.

10 ماذا ينبغي أن نطلب من الله سبحانه في الدعاء؟

ماذا ينبغي أن نطلب من الله سبحانه في الدعاء؟

بسم الله الرحمن الرحيم

"وإذا سأل عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستنجبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون"،
البقرة/186.

قلنا إن الله يأمر في هذه الآية عباده بالدعاء ويعددهم بالإجابة ،لانه قريبٌ منهم بل هو اقرب اليهم من حبل الوريد يسمع دعائهم ويستجيب لهم ويلبي ندائهم ومناجاتهم.



وهنا يثار أماننا سؤالان لهما أهمية كبيرة في الدعاء:

السؤال الاول: ماذا ينبغي لنا ان نطلب من الله في الدعاء؟

السؤال الثاني : ماذا ينبغي ان لا نطلبه في الدعاء؟

وحيث ان الجواب عن كلا السؤالين يأخذ مساحة واسعة من

الكلام،لذلك نخصص الحديث في هذه الحلقة للجواب عن السؤال الاول ونترك الجواب عن السؤال الثاني للمقال القادم.

وقبل الاجابة عن السؤال الاول لا بد من مقدمة وهي: ان الدعاء يأتي نتيجة شعور الانسان بفقره الى الله وحاجته اليه وما ينبغي ان نعرفه هنا هو انه ليس هناك حد لفقر العبد وحاجته وضعفه وقصوره وتقصيره، كما انه ليس هناك حد لغنى الله وسلطانه وقوته وجوده وكرمه واحسانه. ومن هنا فان ما ينبغي ان ندعو الله به وما ينبغي ان نطلبه من الله في الدعاء قد يكون كثيراً ومتنوعاً ولكن أهم ما اكدت عليه النصوص الاسلامية هو ان ندعو للامور التالية:

أولاً : ان ندعوا لمحمد وآل محمد بالرحمة والرضوان ،فان أهم نقطة في الدعاء بعد حمد الله والثناء عليه هو أن نصلي على محمد وآل محمد باعتبارهم اولياء امور المسلمين وقد ورد في النصوص الاسلامية تركيز وتأکید كبيران على اهمية هذه الصلاة في الدعاء ، والسبب في هذا الاهتمام واضح ،فان الله يريد ان نجعل من الدعاء وسيلة لارتباط المسلمين بأولياء امورهم واعتصامهم بولايتهم .واعظم نص ورد في القرآن الكريم في هذا المجال هو قوله تعالى : (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) الاحزاب /56. فان هذه الآية تأمر بالصلاة والدعاء للنبي والتسليم عليه.

وروى عبد الله بن نعيم وهو من اصحاب الإمام الصادق (ع) قال : قلت لابي عبد الله (ع) : إني دخلت البيت ولم يحضرني شيء من الدعاء الا الصلاة على محمد وآله فقال : اما انه لم يخرج أحد بأفضل مما خرجت به.

وقد ورد في بعض النصوص ان الانسان اذا اراد ان يدعو الله ويطلب منه حاجته فعليه ان يبدأ بالصلاة على محمد وآله أولاً ثم يدعو بعد ذلك بحاجته.

فعن امير المؤمنين (ع) في تهج البلاغة انه قال : " اذا كان لك الى الله حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على رسوله ثم سل حاجتك ، فان الله اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الأخرى . "

ثانياً : من موارد الدعاء الدعاء لعموم المؤمنين الاحياء منهم والاموات ، بان ندعوا لعموم المؤمنين الحاضرين والذين سبقونا بالإيمان ، ندعوا لهم بالمغفرة والرحمة والخير وقضاء حاجاتهم الدنيوية والاخرية ، وهذا اللون من الدعاء يربط الانسان المسلم الفرد بالامة الاسلامية جميعاً فيشعر المؤمن من خلال الدعاء لعموم المؤمنين بالارتباط التاريخي والفعلي بالامة الاسلامية وبوحدة هذه الامة وبالعلاقة القوية التي تربطه بهذه الامة.



وقد ورد في النصوص تأكيد بليغ على هذا اللون من الدعاء ، وورد ان الله يثيب صاحب هذا الدعاء من الحسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة يشمله دعاؤه ، وان كل مؤمن يشمله هذا الدعاء يشفع له يوم القيامة بين يدي الله عندما يأذن الله للصالحين من عباده بالشفاعة للمذنبين منهم ، فعن الصادق (ع) قال : قال رسول الله (ص) : " ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات الا رد الله عليه مثل الذي دعا لهم به من كل مؤمن ومؤمنة مضى من اول الدهر ، او هو آت الى يوم القيامة . وان العبد ليؤمر به الى النار يوم القيامة ، فيسحب فيقول المؤمنون والمؤمنات عندما يرونه وهو يسحب الى النار : يا رب هذا الذي كان يدعو لنا فشفعنا فيه فيشفعهم الله عز وجل فينجو من النار " .

بل في حديث اخر عن الصادق (ع) : من قال كل يوم خمساً وعشرين مرة اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، كتب الله له بعدد كل مؤمن مضى ، وبعدد كل مؤمن بقي الى يوم القيامة حسنة ، ومحا عنه سيئة ، ورفع له درجة .

ثالثاً : من فوائد الدعاء، الدعاء للخاصة من المؤمنين وذلك بأن نخصص في الدعاء افراداً معينين نسميهم ونشخصهم ونعينهم باسمائهم ،وهذا اللون من الدعاء يزيل ما قد يتراكم من السلبات على العلاقات الثنائية بين الاخوان والارحام ومعارف الانسان فإن المؤمن إذا دعا بالرحمة والمغفرة لآخوانه الذين يسميهم ويعينهم، وإذا سأل الله لهم قضاء حاجاتهم وتيسير أمورهم وشؤونهم في الدعاء فإنه بالتأكيد سوف يحبهم ويزيل ما كان يجد في نفسه تجاههم في بعض الحالات من الحسد والكراهية والحساسية والنفور.

وقد ورد التأكيد في الروايات على الدعاء للأخوان بظهر الغيب كما ورد التأكيد على الدعاء لأربعين مؤمناً باسمائهم وتقديم الدعاء لهم على دعاء الانسان لنفسه.

رابعاً : من موارد الدعاء الدعاء للوالدين ،فإن الدعاء لهما من مصاديق البر بالوالدين ،وكنموذج من الدعاء للوالدين الدعاء الوارد في الصحيفة السجادية عن الإمام زين العابدين (ع) يقول فيه : اللهم صل على محمد وآله وذريته واخصص ابوي بأفضل ما خصصت به آباء عبادك المؤمنين وأماهاتهم يا ارحم الراحمين، اللهم لا تنسني ذكرهما في أديار صلاتي وفي كل آن من آناء ليلي وفي كل ساعة من ساعات نهارى ،واغفر لي بدعائي لهما واغفر لهما ببرهما لي مغفرةً حتماً، وارضى عنهما بشفاعتي لهما رضاً عزماً وبلغهما بالكرامة مواطن السلامة.

خامساً : من موارد الدعاء دعاء الانسان لنفسه ،بأن نقف بين يدي الله لندعو لأنفسنا، ولكن ماذا نسأل لأنفسنا من الله؟ وكيف ندعو لأنفسنا؟؟.

ينبغي في الدعاء ان نطلب من الله كل شيء مما نحتاج إليه ان نطلب منه كل ما يهمنا في دنيانا وفي اخرتنا ونطلب منه ان يصرف عنا كل ما نحتز منه من سوء وشر في ديننا ودنيانا فان مفاتيح الخير واسبابه كلها بيد الله ولا يمتنع عن ارادته شيء ولا ييخل على عباده بشيء من الخير والرحمة.

وينبغي للانسان ان يدعو الله في كل حاجاته سواء كانت كبيرة او صغيرة ولا ينبغي ان ينجل الانسان من طلب الحاجات الطفيفة والصغيرة من الله كما لا ينبغي ان تحجب الحاجات والطلبات الكبيرة الحاجات الصغيرة والخفيفة. قد يكون من المعيب ان يطلب بعضنا من بعض حاجات صغيرة ولكن عندما يكون الانسان بين يدي الله ويكون وجهه الى الله في الطلب والسؤال فان الامر مختلف فلا يكون الطلب معيباً مهما صغرت الحاجة وكانت خفيفة. فان الانسان مكشوف لربه سبحانه وتعالى بكل حاجاته ونقصه وضعفه وبكل عثراته وعيوبه ،فلا يخفى على الله شيء من فقرنا ونقصنا وضعفنا حتى ننجل ان نعرض عليه حاجاتنا التي ننجل ان نعرضها على غيره.



والله يحب ان يرتبط به عبده في كل شؤونه الصغيرة والكبيرة حتى يكون ارتباطه به ارتباطاً دائماً ومستمراً ولن يدوم هذا الارتباط ويستمر الا اذا كان الانسان يشعر بالحاجة الى الله في كل شؤونه وحاجاته الكبيرة والصغيرة منها حتى في مثل شسع نعله اذا انقطع وملح العجين على حد تعبير بعض الروايات. وكما ينبغي ان لا نخجل من الله ان نطلب منه صفات الامور كذلك ينبغي ان لا نستكثر على الله ان نسأله النعم العظيمة والكبيرة مهما كانت عظيمة وكبيرة.

فقد روى ربيعة بن كعب ان رسول الله (ص) قال له ذات يوم : يا ربيعة خدمتني سبع سنين أفلا تسألني حاجة؟؟.

فقال : يا رسول الله امهلني حتى افكر ، فلما اصبح ودخل على النبي قال له النبي : يا ربيعة هات حاجتك. فقال ربيعة : حاجتي يا رسول الله ان تسأل الله ان يدخلني معك الجنة. فقال النبي : من علمك هذا؟ ، فقال يا رسول الله ما علمني احد لكنني فكرت في نفسي وقلت : ان سألته مالا فان المال الى نفاذ وان سألته عمرا طويلا واولادا كان عاقبتهم الموت فوجدت ان اسألك نعيما دائما وهو ان تسأل الله ان يدخلني معك الجنة. فقال النبي : افعل لك ذلك ولكن اعني بكثرة السجود ثم قال : ستكون من بعدي فتنة فاذا كان ذلك فالتزموا علي بن ابي طالب.

ولا بد من التأكيد هنا على ان هذا المبدأ في الدعاء لا يعني ابدا التخلي عن العمل والحركة والسعي ولكن على الانسان في حركته وسعيه اولاً: أن لا يضع ثقته ورجاءه في عمله وسعيه وحركته بل عليه ان يحافظ على رجاءه وثقته بالله . وثانياً : ان لا يقطع علاقته وارتباطه واحساسه بالحاجة الى الله في زحمة تحركه وسعيه وعمله.

11 ما لا ينبغي أن نطلبه في الدعاء؟

ما لا ينبغي أن نطلبه في الدعاء؟

مما لا يجوز في الدعاء ، ان يتمنى الانسان ان ينقل الله النعمة من الآخرين الى نفسه ، فان الله لا يرضى من عبده ان يقف بين يديه في الدعاء والمناجاة ليطالب منه ان يسلب النعمة عن الآخرين وينقلها اليه. سأل الصادق (ع) عن قول الله عزوجل " ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض " فقال (ع) لا يتمنى الرجل إمراة الرجل ولا ابنته ولكن يتمنى مثلها. "



بسم الله الرحمن الرحيم : (وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) البقرة/186. قلنا إن الله يأمر في هذه الآية عباده بالدعاء ويعددهم بالأجابة، وإن الآية تقودنا الى طرح سؤالين لهما أهمية كبيرة في الدعاء:

السؤال الاول: ماذا ينبغي لنا ان نطلب من الله في الدعاء؟؟

السؤال الثاني : ماذا ينبغي ان لا نطلبه في الدعاء؟

وقد تحدثنا في الحلقة الماضية عما يتعلق بالأجابة عن السؤال الأول. ونحدث هنا في الجواب عن السؤال الثاني، فما هي الأشياء التي لا ينبغي ان نطلبها من الله في ادعيتنا ومناجاتنا بين يدي الله سبحانه؟؟،

وفي مجال الاجابة عن هذا السؤال تبرز امامنا عدة امور مما ينبغي ان لا ندعو بها منها:

اولاً : الدعاء على خلاف سنن الله العامة في الكون والحياة ، فان فهم سنن الله تعالى أمر لا بد منه في الدعاء فليست مهمة الدعاء اختراق السنن والقوانين التي وضعها الله للحياة، وانما مهمة الدعاء توجيه الانسان الى ان يسأل الله الحاجات في دائرة سننه وقوانينه، إن سنن الله تجسد دائماً ارادة الله ومهمة الدعاء استعطاف ارادة الله وليس اختراقها واستبدالها وتغييرها ، فمن سنن الله تعالى مثلاً حاجة الناس الى بعضهم البعض في شؤونهم العامة، فكل انسان بحاجة الى الآخرين في الأمور الحياتية العامة وغيرها ، فليس من الصحيح ان يطلب الانسان من الله الدعاء ان يغنيه عن الآخرين وان لا يحوجه الى الناس ، فان هذا النوع من الدعاء هو دعاء على خلاف سنة الله وارادة الحياة،

وقد ورد في الحديث ان امير المؤمنين (ع) قال امام رسول الله(ص) : اللهم لا تحوجني الى احد من خلقك ، فقال له النبي (ص) : يا علي ، لا تقولن هكذا ،فليس من أحد ألا وهو محتاج الى الناس.

فقال علي (ع) : اذن كيف اقول يا رسول الله ؟

فقال : قل اللهم لا تحوجني الى شرار خلقك.

كما روي ان اصحاب الامام الصادق (ع) قال للامام : اني ادع الله أن يغنيني عن خلقه ! فقال الإمام : ان الله قسم رزق من شاء على يدي من شاء ،ولكن إسأل الله ان يغنيك عن الحاجة التي تضطرك الى لثام خلقه.

وبهذا الفهم للدعاء نجد ان النصوص الاسلامية تحدد للدعاء دائرة واقعية وتخرج الدعاء عن الدوائر غير الواقعية والخيالية.



فالنصوص تؤكد حقيقة هامة في طريقة واسلوب معيشة الانسان فكما يجب ان يكون سعي الانسان واقعياً وبعيداً عن الخيال ، كذلك يجب ان يكون دعاؤه في نفس الدائرة الواقعية ،بان يكون واقعياً في طلبه ودعائه بين يدي الله فلا يدعو ما لا يمكن الحصول عليه وما هو خارج عن دائرة سنن الله وقوانينه في الحياة.

وقد روي أن شيخاً من اهل الشام سأل امير المؤمنين (ع)

فقال له : اي دعوة أضل ؟ فقال له الإمام (ع) : الداعي بما لا

يكون،اي الذي يدعو ويطلب من الله ما هو خارج عن دائرة سنن الله المتعارفة في حياة الانسان مما لا يكون التفكير فيه والسعي اليه واقعياً.

وثانياً : من الامور التي لا ينبغي الدعاء له، الدعاء بما لا يحل والدعاء لقضاء الحاجات المحرمة ،فكما لا ينبغي الدعاء بما

لا يكون واقعياً ،كذلك لا ينبغي الدعاء بما لا يحل، وقد روي عن أمير المؤمنين (ع) : لا تسأل ما لا يكون وما لا يحل.

وثالثاً : مما لا يجوز في الدعاء ،ان يتمنى الانسان ان ينقل الله النعمة من الآخرين الى نفسه ،فان الله لا يرضى من عبده ان

يقف بين يديه في الدعاء والمناجاة ليطلب منه ان يسلب النعمة عن الآخرين وينقلها اليه.

ان الانسان الذي يدعو بمثل هذا الدعاء هو انسان ضيق النظر ضيق الافق يعيش الانانية بكل أبعادها،ان سلطان الله واسع

ونعمه لا نفاذ لها ،وملكه لا حد له فبأمكان الانسان ان يطلب من الله كل شيء ان يتمنى من الله النعمة وان يتمنى ان يرزقه الله

افضل مما رزق الآخرين وان ينعم عليه بافضل مما انعم على الآخرين وقد ورد في دعاء كميل " واجعلني من افضل عبادك نصيباً

عندك واقربهم منزلة منك وأخصهم زلفة لديك" هذا النوع من الدعاء لا بأس فيه ويحبه الله ويرتضيه لعباده، أما ان يتمنى الانسان ان يسلب الله النعمة عن الآخرين فهذا مما لا يحبه الله ولا يرتضيه لعباده، فان الله لا يحتاج اذا اراد ان يرزق احداً من عباده نعمة معينة ان يسلبها من غيره ويمنحها له.

فقد روى عبد الرحمن بن ابي نجران انه سأل الصادق (ع) عن قول الله عزوجل " ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض " فقال (ع) لا يتمنى الرجل إمراة الرجل ولا ابنته ولكن يتمنى مثلها. "

ورابعاً : مما لا ينبغي للإنسان ان يدعو له هو الدعاء بخلاف مصلحته. فان الانسان بجعله بعواقب الامور ولجهله بما ينفعه وما يضره قد يطلب من الله ما يضره وما هو على خلاف مصلحته وما هو شر له في الواقع، ولما كان الله يعلم الاشياء التي تنفع الانسان والاشياء التي تضره ويعرف مواقع مصلحته، فان الله قد يبذل استجابته دعاء الانسان بنعمة اخرى ،او بدفع بلاء او يؤخر الله الاستجابة الى الوقت الذي ينتفع الانسان بالاجابة، فنحن نقراء في دعاء الافتتاح " اسألك مستأنساً لا خائفاً ولا وجلأ مدلاً عليك فيما قصدت فيه اليك ،فان أبطأ عني عتبت بجھلي عليك ،ولعل الذي ابطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الآمور. "

اذأ على الانسان ان لا يعتب على الله اذا أبطأ الله عليه بالاجابة او لم يستجب له، لان الدعاء الذي دعا الله به قد يكون على خلاف مصلحته، وقد يكون قد طلب من الله ما يضره وهو يجهل ذلك لعدم علمه بعواقب الامور. وعلى الانسان في مثل هذه الحالات ان يدعو الله ويوكل الامر إليه ليفعل ما يراه من المصلحة.

خامساً : مما لا ينبغي من الدعاء الدعاء على المؤمنين بالشر والأذى والبؤس وزوال النعمة والبلية وما الى ذلك، فان هذا اللون من الدعاء يتنافى مع مهمة الدعاء وأهدافه، فان من مهام الدعاء وغاياته تثبيت العلاقة الايجابية والأخوية بين المؤمنين ،فاذا تحول الدعاء الى وسيلة لتثبيت الحالة السلبية في العلاقات فمعنى ذلك ان الدعاء تجاوز الغاية منه ،وهذا مما لا يحبه الله في الدعاء، فالله يحب دعاء المؤمنين بعضهم لبعض بظهر الغيب وفي حضورهم ،وايثار الآخرين بالدعاء وتقديم حاجاتهم على حاجة الداعي نفسه،ولا يحب الله لعباده ان يذكر بعضهم بعضاً بسوء بين يديه ، كما لا يحب الله ان يدعو الانسان على اخيه حتى ولو كان قد تعرض منه لاذى او ظلم او اعتداء ما دام أخاه في الإيمان ولم يخرج بالظلم عن دائرة الاخوة الايمانية. فقد روي عن الإمام الصادق (ع) انه قال : إن العبد ليكون مظلوماً فلا يزال يدعو حتى يكون ظالماً.

إن الله سبحانه وتعالى هو السلام ومنه السلام وساحته هي ساحة السلام، فإذا وقفنا بين يدي الله بقلوب عامرة بالسلام يدعو بعضنا لبعض ويسأل الله بعضنا الرحمة للبعض ،ويؤثر بعضنا بعضاً برحمة الله ،استنزلنا بذلك رحمة الله وشملتنا جميعاً ،لأن رحمة الله تنزل على القلوب المتحابة والمتساملة من المؤمنين ،وصعدت بذلك ايضاً اعمالنا وصلاتنا ودعاؤنا وقلوبنا الى الله عز

وجل . فان الكلم الطيب والقلوب العامرة بالكلم الطيب تصعد الى الله وترتفع اليه (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه).



واما اذا وقفنا بين يدي الله بقلوب مليئة بالسوء والضعينة والحقد والكراهية لبعضنا، واخذنا الى الله خلافتنا ومشاكلنا وشكوانا على بعضنا البعض، فان رحمة الله سوف تنقطع عنا جميعاً ولا تنزل علينا هذه الرحمة التي وسعت كل شيء في هذا الكون ، ولا تصعد حينئذ اعمالنا وصلاتنا ودعاؤنا وقلوبنا الى الله.

فان القلوب المتحابة العامرة بالحب تستنزل رحمة الله وتدفع البلاء والعقوبة عن المؤمنين ، وبالعكس من ذلك القلوب المتخالفة والمتعادية فانها تحجب رحمة الله عن المؤمنين وتجلب البلاء والعقوبة لهم.

لذلك كله فان على الانسان المؤمن عندما يقف بين يدي الله ليدعو الله ويسأله ويطلب منه الحاجات ، فان عليه ان يدعو لاخيه المؤمن ليعمق علاقته به، لا ان يدعو عليه.

ففي الحديث أن الملائكة اذا سمعوا المؤمن يذكر اخاه بسوء ويدعو عليه قالو له : بئس الأخ انت لأخيك ، كُفَّ ايها المستر على ذنوبه ، وأربع على نفسك، وأحمد الله الذي ستر عليك ، واعلم ان الله عزوجل أعلم بعبده منك.

بسم الله الرحمن الرحيم

"وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين"، غافر/ 60.

هذه الآية تتحدث عن الدعاء والاستجابة وعن الموقف من أولئك الذين يعرضون عن هذه العبادة.

وما يمكن استفادته من هذه الآية عدة أمور:

الأول : أن الله يحب الدعاء ويريده ويأمر به. (وقال ربكم ادعوني).

الثاني : أن الله وعد عباده بإجابة الدعاء (استجب لكم) لكن هذا الوعد بالإجابة مشروط بشروط معينة وليس مطلقاً وسنذكر هذه الشروط لاحقاً ان شاء الله.



الثالث : أن الدعاء في نفسه نوع من العبادة ،لأن الآية اطلقت في نهايتها صفة العبادة على الدعاء (إن الذين يستكبرون عن عبادتي) فجعل كلمة عبادتي بدل كلمة دعائي مما يعني ان المراد بالعبادة هنا هو الدعاء.

الرابع : توجه الآية في نهايتها تهديداً صريحاً وقوياً لأولئك

الذين يستكبرون فيعرضون عن الدعاء نتيجة شعورهم بالغرور وإمكانية الاستغناء عن الله ، وتعتبر أن الاعراض عن الدعاء يعني الاعراض عن الله وتقول : (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)

إذاً قوله تعالى في هذه الآية (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) وقوله تعالى:(وأذا سألك عبادي عني فإني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان) هاتان الآيتان تدلان بشكل صريح على ان ثمة وعداً الهياً باستجابة الدعاء واجابة الداعين الى ما سألوه وما طلبوه من الله عز وجل.

وهنا قد يتسأل الكثيرون من الناس وهم يقرأون هاتين الآيتين فيقولون : ما لنا ندعو الله ولا نرى الاجابة ؟ فنحن ندعو الله كثيراً ونلجأ اليه في طلب حاجاتنا وحل مشكلاتنا ، فلماذا لا يستجيب لنا؟ فهل ان الله يخلف وعده؟؟.

والجواب :ان عدم استجابة الدعاء في بعض الحالات يعود الى اننا نرتكب بعض الاعمال التي تحجب دعائنا عن الوصول الى الله ، واذا لم يصل الدعاء الى الله فبال تأكيد سوف لن تتحقق الاجابة ، اضافة الى ان وعد الله باستجابة الدعاء هو وعد مشروط لا مطلق ، فهو مشروط بتنفيذ بعض المواثيق والتكاليف الالهية، فان قمنا بتنفيذ تلك التكاليف ،فلنا ان نتوقع من الله ان يستجيب دعائنا وإلا فلا ننتظر الإجابة.



ونحن هنا نذكر اهم العوامل والاسباب التي تمنع الاجابة ثم نشير الى اهم شروط استجابة الدعاء كما ذكرتها الروايات الاسلامية.

إن اهم العوائق والعقبات التي تحبس الدعاء عن الصعود الى الله هي الذنوب والمعاصي ، فكلنا نقرأ في دعاء كميل : (اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء) ونقرأ فيه (فاسألك بعزتك ان لا يحجب عنك دعائي سوء عملي وفعالي فالذنوب وسوء الاعمال ، تحجب الدعاء وتمنع الاجابة.

وتوضيح ذلك: أن للذنوب في حياة الإنسان دورين:

الدور الأول: انها تحجب الإنسان عن الله وتقطعه ،فلا يتمكن الإنسان من الإقبال على الله والتوجه اليه.

والدور الثاني: ان الذنوب تحجب الدعاء وتمنعه من الصعود الى الله ، لان الدعاء لو صعد الى الله فانها سوف تتم الاجابة من عند الله ، لانه ليس في ساحة الله تعالى عجز او بخل اذا وصل الإنسان اليه، لكن الذنوب تسبب عجزاً في الدعاء بحيث يمنع عن الصعود الى الله والوصول اليه.

إذاً الذنوب قد تمنع الانسان من أصل الدعاء ،وقد تمنع الدعاء وتحبسه من الصعود الى الله ،واذا لم يصعد الدعاء الى اله فبال تأكيد لن تتم الأجابة ،فالله لا يستجيب دعاء المذنب والعاصي لان دعائه عاجز عن الوصول اليه.

وقد ذكرت بعض الروايات ذنباً اذا فعلها الإنسان فانها تحول بينه وبين اجابة دعائه مثل سوء النية ،النفاق ،تأخير الصلاة عن وقتها ،التلفظ بالكلام السيء والبذيء الذي يخشاه الناس ،عقوق الوالدين ،الطعام الحرام ،ترك الصدقة وترك الانفاق في سبيل الله ،فان هذه الذنوب وغيرها تمنع من الإجابة ،اذ كيف يستجيب الله دعاءَ وطلبَ مَنْ يتمرّد عليه ويستغرق في معصيته ويرتكب مثل هذه الذنوب التي تسخطه.

ومن هنا فإن اهم الشروط التي تذكرها الروايات لاستجابة الدعاء هي:

اولاً: اجتناب المحرمات والذنوب والتوبة عنها ،وان يسعى الداعي دوماً الى تطهير قلبه وعقله وروحه ونفسه وحياته من كل ما يكرهه الله سبحانه.

فقد ورد عن الباقر (ع) انه قال : ان العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها الى اجل قريب فيذنب العبد ذنباً ،فيقول الله تبارك وتعالى للملك : لا تقضي حاجته واحرمه إياها ،فانه تعرض لسخطي واستوجب الحرمان مني.

وثانياً: إن يسعى الداعي الى تطهير امواله من كل غصب وظلم وباطل وان لا يكون طعامه من حرام، فعن رسول الله (ص) انه قال : من أحب ان يستجاب دعاؤه فليطبخ مطعمه ومكسبه.

وثالثاً: ان لا يفتقر الدعاء عن الجهاد المستمر ضد كل الوان الفساد عن طريق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الله لا يستجيب دعاء من يترك وظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فعن النبي (ص) : لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن شراركم على خياركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم.

رابعاً: ان يكون الدعاء ضمن السنن الطبيعية ،وان يكون الداعي مخلصاً وموقناً بالاجابة فان عدم استجابة الدعاء يرجع اما الى ان الانسان يطلب من الله ما يتنافى مع سنن الطبيعة ، كأن يطلب الرزق من غير ان يسعى نحوه ويطلب العلم من غير ان يتعلم ،ويطلب الهداية الى طريق الحق من دون ان يجاهد نفسه، واما لانه يدعو الله بما فيه ضرر ديني او دنيوي عليه وهو جاهل به بحيث لو عرفه لما دعا به ، او انه يدعو بغير اخلاص ولا يقين بالاجابة



فعن أمير المؤمنين (ع): (الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر).

وعن الإمام الصادق (ع) انه سئل: مالنا ندعو ولا يستجاب لنا؟ فقال : لانكم تدعون من لا تعرفون وتسالون ما لا تفهمون.

خامساً: ان يعمل الداعي بالمواثيق الالهية وفي بيعهده مع الله ، فالإيمان والعمل الصالح والامانة والصلاح من شروط استجابة الدعاء فمن لم يف بعهده امام الله لا ينبغي ان يتوقع من الله استجابة دعائه.

فقد جاء رجل الى امير المؤمنين (ع) وشكا له عدم استجابة دعائه فقال الإمام : (ان قلوبكم خانت بثمان خصال:

أولها: انكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه كما اوجب عليكم ،فما اغنت عنكم معرفتكم شيئاً.

والثانية : انكم آمنتم برسوله ثم خالفتم سنته ،وأمتم شريعته فأين ثمرة إيمانكم.

والثالثة : انكم قرأتم كتابه المنزل عليكم ،فلم تعملوا به،وقلتم سمعنا واطعنا ثم خالفتم.

والرابعة : انكم قلتم تخافون من النار وانتم في كل وقت تقدمون اليها بمعاصيكم فأين خوفكم.

والخامسة : انكم قلتم ترغبون الجنة ،وانتم في كل وقت تفعلون ما يباعدكم منها فأين رغبتكم فيها.

والسادسة : انكم اكلتم نعمة المولى فلم تشكروا عليها.

والسابعة : ان الله امركم بعداوة الشيطان وقال : (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً) فعاديتموه بلا قول ،وواليتموه بلا مخالفة.

والثامنة : انكم جعلتم عيوب الناس نصب أعينكم وعيوبكم وراء ظهوركم تلومون من انتم احق باللوم منه،فأي دعاء سيستجاب لكم مع هذا وقد سدتم ابوابه وطرقه؟ فاتقوا الله واصلحوا أعمالكم واخلصوا سرائركم وامروا بالمعروف وانها عن المنكر فيستجيب الله لكم دعائكم.

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله في سورة النساء: "وإن لجنبتوا كبائر ما ننهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً" (الآية 31).

هذه الآية تقول بصراحة: إن من يجتنب الذنوب ويترك المعاصي الكبيرة التي نهى الله عنها فإن الله يكفر أي يعفو عن ذنوبه الصغيرة التي عبر عنها هنا بالسيئات ، ويدخله إلى جنانه الواسعة وإلى مقام القرب من الله سبحانه (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً).



ومن هذا التعبير يستفاد أن المعاصي والذنوب على قسمين:

القسم الأول: هو ما يسميه القرآن الكريم بالكبائر أي المعاصي الكبيرة.

القسم الثاني: وهو ما يسميه القرآن الكريم في هذه الآية بالسيئات أي

المعاصي الصغيرة.

وقد عبر القرآن الكريم في الآية (32) من سورة النجم عن المعاصي الصغيرة (باللمم) أي الأعمال الصغيرة غير الهامة حيث قال تعالى : (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة).

كما عبر في الآية (49) من سورة الكهف بكلمة الصغيرة في مقابل الكبيرة حيث قال تعالى : (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها).

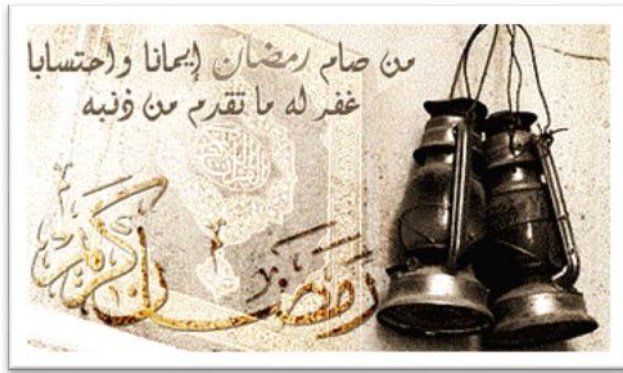
ومن هذه التعابير المذكورة كلها يتبين بوضوح أن الذنوب والمعاصي تنقسم إلى قسمين : إلى كبائر وصغائر ولكن يعبر عنهما تارة : بالكبيرة والصغيرة ، وتارة أخرى : بالكبيرة والسيئة ، وتارة ثالثة : بالكبيرة واللمم. والسؤال الذي ينبغي أن نعرف الإجابة عنه هنا هو : ما هو الملاك والضابطة في تحديد المعصية الصغيرة والمعصية الكبيرة ؟ أي ما هي القاعدة التي على أساسها نحدد أن هذه المعصية صغيرة وتلك المعصية كبيرة؟؟.

يذهب بعض المفسرين إلى أن هذين الوصفين من الأمور النسبية . فكل معصية إذا قيست إلى ما هو أكبر منها تكون صغيرة وهي نفسها إذا قيست إلى ما هو أصغر منها تكون كبيرة، وطبقاً لهذا الرأي فليس هناك تحديد دقيق للمعاصي الصغيرة والكبيرة ، لأن كل معصية قد تكون صغيرة بالنسبة إلى ما هو أكبر منها وقد تكون كبيرة بالنسبة إلى ما هو أصغر منها.

ولكن من الواضح ان هذا المعنى لا ينسجم مع ظاهر الآية التي نفسرها ،لأن الآية تقسم الذنوب بشكل واضح الى قسمين مستقلين وتعتبرهما نوعين متقابلين وتعتبر ان الاجتناب عن صنف موجب للتكفير والعفو عن الصنف الاخر مما يعني بان الكبائر والصغائر محددة بشكل دقيق ومن هنا فاننا نقول في تحديد الكبيرة والصغيرة ان الكبيرة هي كل معصية بالغة الاهمية من وجهة نظر الاسلام بمعنى ان القران لم يكتف بالنهي عنها فقط بل نهي عنها وهدد عليها بعذاب النار مثل الشرك بالله وقتل النفس المحترمة والزنا وأكل الربا وعقوق الوالدين واكل مال اليتيم وما شابه ذلك ، ولهذا جاء في روايات اهل البيت عليهم السلام ان الكبائر هي التي اوجب الله عز وجل عليها النار، وقد روي مضمون هذه الروايات عن الإمامة الباقر والصادق والرضا عليهم السلام.

وعلى هذا الاساس فالمعاصي الكبيرة هي المعاصي التي ورد النهي عنها بشدة وإصرار وتم التهديد عليها بالعذاب ودخول النار ، والمعاصي الصغيرة هي ما عدا ذلك .. مما نهي الله عنه ولم يوجب عليه العذاب بالنار، كحلق اللحية والنظر الى اعراض الناس والاستماع الى الغناء والموسيقى وما اشبه ذلك.

وهنا لا بد من التأكيد على نقطتين:



النقطة الاولى: إن الآية الكريمة التي تدعو الى اجتناب الكبائر

لا تعني ابداً ان ارتكاب المعاصي الصغيرة امر مباح فلا يصح ان يقال ان هذه الآية تشجع على ارتكاب المعاصي والذنوب الصغيرة اذ كأنها تقول لا بأس بارتكاب المعاصي الصغيرة شرط ترك الكبائر.

الاية لا تفيد هذا المعنى اطلاقاً وانما الذي يستفاد من التعبير المذكور في الاية (نكفر عنكم سيئاتكم) هو ان الاجتناب عن الذنوب الكبيرة خصوصاً مع توفر الارضية المناسبة لارتكابها ،

يُوجد حالة من التقوى الروحية لدى الانسان يمكنها ان تطهره من آثار ونتائج الذنوب الصغيرة فمن يجتنب الذنوب الكبيرة يمكنه ان يتخلص من نتائج الذنوب الصغيرة.

وبتعبير آخر: إن الآية تريد ان تقول ان التكفير والعفو عن الذنوب الصغيرة والسيئات هو نوع من المكافأة والأجر المعنوي للذين يتركون المعاصي الكبيرة ،وهذا في الحقيقة اثر تشجيعي قوي على ترك الكبائر ومحفز على اجتنابها وليس تشجيعاً على ارتكاب الصغائر هذا فيما يتعلق بالنقطة الاولى.

والنقطة الثانية : ان المعاصي الصغيرة تبقى صغيرة ما لم تتكرر من الانسان وما لم تصدر عن تهاون او عن استكبار وغرور . فاذا تكرر من الانسان ارتكاب المعصية الصغيرة ، واصرا الانسان على فعلها فانها تتحول الى معصية كبيرة ، فقد قال الإمام الصادق (ع) : لا صغيرة مع الاصرار . فمن يغفل مرة عن صلاة الصبح فانه يرتكب معصية صغيرة ولكنه اذا استمر في تغافله يصبح من تاركي الصلاة وترك الصلاة معصية كبيرة وهكذا من اصر على حلق لحيته .

واذا استصغر صاحب المعصية معصيته واستحقرها واستهان بها ولم يبال بها فانها تتحول الى معصية كبيرة ، فقد جاء في نهج البلاغة: اشد الذنوب ما استهان به صاحبه . وفي بعض الروايات : اكبر الذنوب ذنب استصغره صاحبه .

وهكذا اذا ارتكب الانسان معصية صغيرة ، عن عناد واستكبار وطغيان وتمرد على اوامر الله فانها تتبدل الى معصية كبيرة



وهذا ما يستفاد من آيات قرآنية متنوعة

كقول الله تعالى: (فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى) النازعات /37-39.

وإن صدرت المعصية ممن لهم مكانة اجتماعية خاصة بين الناس وممن

لا تحسب معصيتهم كمعصية الآخرين فان الصغيرة منهم تكون كبيرة ، فقد جاء في القرآن الكريم حول نساء النبي (ص) في سورة الاحزاب: (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) الآية /30.

وروي عن النبي (ص): من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيئاً . وكذلك اذا فرح فاعل المعصية الصغيرة بمعصيته وبعمله وافتخر بذلك فان معصيته قد تصبح كبيرة . فقد روي عن النبي (ص) انه قال : من اذنب ذنباً وهو ضاحك دخل النار وهو باك .

ومن هنا فان على الانسان ان يجتنب كل ذلك .. ان يجتنب المعاصي الكبيرة وان يجتنب المعاصي الصغيرة لئلا تتحول الى ذنوب كبيرة . واجتناب الكبائر والصغائر يعني في الوقت نفسه ان يقبل الانسان على الطاعات لانها القاعدة الصلبة التي يبنى على اساسها سلوك الانسان وعمله .

وقد سأل امير المؤمنين (ع) النبي (ص) فقال: ما افضل الاعمال في هذا الشهر اي في شهر رمضان ؟ فقال (ص) : الورع عن محارم الله . فليكن عملنا في هذا الشهر: الورع عن محارم الله ، واجتناب الذنوب الكبيرة والصغيرة ، لننال بذلك مغفرة الله وعفوه ورحمته

13 لماذا لا يحب الله سبحانه من عباده القنوط من رحمته الواسعة؟!

القنوط واليأس ونتائجهما السلبية

اليأس من رحمة الله وفقدان الأمل بمغفرته وعفوه ، كالكفر بالله ، ولهذا السبب اذا افسد الشيطان شخصاً ويأس هذا الشخص من رحمة الله يصبح من خلال ذلك كحميد بن قحطبة لا يصوم ولا يصلي ويرتكب اي جريمة تسنح له الفرصة للقيام بها.



بسم الله الرحمن الرحيم : يقول الله تعالى: (قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم) الزمر /53.

هذه الآية تفتح ابواب الرحمة امام المذنبين وتعطيهم الأمل بإمكانية نسيان الماضي وفتح صفحة جديدة مع الله، فبلهجة مملوءة باللطف والمحبة والرأفة يفتح الله ابواب رحمته امام الجميع ويصدر اوامر العفو عنهم.

والتدقيق في عبارات هذه الآية يبين انها من اكثر آيات القرآن الكريم التي تعطي الأمل للعاصين كل العاصين مهما كانت ذنوبهم عظيمة وكبيرة . وشمولية هذه الآية وسعتها وصلت الى درجة قال بشأنها أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) : ما في القرآن آية أوسع من (يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم).

ومن اجل ان يتضح لنا معنى هذه الآية بشكل جيد فاننا نبحث في هذه الحلقة حول المقطع الاول منها اعني قوله تعالى : (يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) . ونتحدث في الحلقة القادمة في المقطع الثاني منها اعني قوله تعالى : (ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم) .

يخاطب الله جميع عباده المذنبين الذين اسرفوا على انفسهم فارتكبوا المعاصي والذنوب الكبيرة والصغيرة ويدعوهم الى ان لا يقنطوا ولا ييأسوا من رحمة الله . والاسراف في الآية بمعنى تجاوز الحد في كل فعل يفعله الانسان ، والاسراف على النفس هو التعدي عليها بارتكاب الذنوب واقتراف الاثام ، والقنوط بمعنى اليأس وفقدان الأمل بالمغفرة والرحمة الالهية.

فالله يدعو في هذه الآية جميع المذنبين الذين اسرفوا على انفسهم فارتكبوا المعاصي وارتكبوا الجرائم ، اسرفوا على انفسهم فظلموا او اعتدوا ، اسرفوا على انفسهم بترك التكاليف الالهية وما افترضه الله عليهم من العبادات والاحكام فتركوا الصلاة والصيام

والحج والخمس والزكاة ، اسرفوا على انفسهم فلم ينتهوا عما نهى الله عنه من الغيبة والنميمة والكذب واكل الربا واكل اموال الناس بالباطل .. الله يدعو كل هؤلاء الذين استغرقوا في المعاصي والمحرمات والآثام ، يدعو كل اولئك الذين ابتعدوا عن خط الله فخانوا الامة والارض والوطن وتعاونوا مع الاعداء والمحتلين ، يدعو كل هؤلاء واولئك ان لا يقنطوا من رحمة الله وغفرانه.

(قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) لا تيأس، لا تفقد الأمل برحمة الله، كن واثقاً بأن الله سيغفر جميع ذنوبك مهما كان نوعها اذا تبت الى الله توبة صادقة ،اعتبر دائماً ان طريق الانابة والعودة الى الله مفتوح امامك باستمرار وانك مهما كنت ملوثاً بالذنوب والآثام والجريمة يمكنك ان تزكي نفسك وان تطهر نفسك وان تفتح صفحة جديدة في حياتك مع الله.

لا تقل ان الله لن يرحمني ، أو ان طريق العودة الى الله مقفل بوجهي ، لا تعتبر نفسك ملوثاً بشكل لا يمكن ان تطهر نفسك وروحك ، لا تتصور استحالة غفران ذنوبك، لا تقل لا يمكنني ان اتخلص من أعباء ذنوبي الكبيرة التي فعلتها في حياتي ، لا تحدث نفسك بأنه لا جدوى من التوبة ومن العودة الى الله بعد كل تلك الجرائم، لا تقل ذلك ولا تحدث نفسك بذلك ،فان هذا الكلام وهذا التصور هو عين اليأس والقنوط من رحمة الله.



ان ذنب هذا التصور وهذا الكلام في اليأس من رحمة الله ومغفرته هو اكبر من ذنوب سبعين سنة ، لان سبعين سنة من الذنوب قد لا تكون كفراً لكن اذا يئست من رحمة الله وفقدت الامل بمغفرة الله فان ذلك يساوي الكفر ،يقول القران الكريم : (لا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) فاليأس من رحمة الله كالكفر بالله هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ان القنوط من رحمة الله يؤدي بالانسان الى ان يصبح مجرمًا ومذنباً ، يؤدي به الى المزيد من ارتكاب المعاصي والجرائم ،لانه يشعر بأنه لا أمل له بالخلاص ولا أمل له بالنجاة

ولا أمل له بالخروج من واقعة السيء والمنحرف، ولذلك يكون اليأس سبباً للجرأة على ارتكاب جميع الذنوب وعلى ارتكاب المزيد من الجرائم لان اليأس يقول لنفسه: ما دمت مذنباً فلماذا أُحرم نفسي من شهوات الدنيا ؟!!

حميد بن قحطبة كان ضابطاً في جيش هارون الرشيد ، ولانه فقد الامل برحمة الله وبغفران الله لذنوبه ، تخلص عن كل القيم وعن كل التكاليف والواجبات الالهية وارتكب المزيد من الجرائم بحق الابرياء والصالحين.

يروى احد اصحاب الامام الصادق قصة هذا الرجل للامام الصادق (ع) فيقول : ذهبت في شهر رمضان الى حميد بن قحطبة فوجدته مفطراً فقلت له : هل انت مريض؟ قال : لا ، قلت : انك لست مسافراً فما بالك مفطراً في شهر الله ؟ ، قال : لاني اعلم ان الله لن يغفر لي ، فقلت : وماذا فعلت حتى لا يغفر الله لك؟ ، فقال : طلبني هارون الرشيد في احدى الليالي وقال لي : الى اي مدى انت معي ؟ فقلت له : اني مستعد لأن افديك بمالي وعرضي ونفسي ، فقال : لا يكفي ، فذهبت عنه ، وبينما كنت في طريقي الى منزلي طلبني مرة اخرى وقال لي : الى اي مدى انت معي ؟ فقلت : اني مستعد ان افديك بديني فقال : هذا ما اريده ، ثم اعطاني سيفاً وقال لي : نفذ كل ما يقوله هذا الغلام ، يقول حميد : اخذني الغلام الى باب احد البيوت ، ففتح باب احدى الغرف وكان فيها عشرون شاباً من ذرية النبي الأكرم (ص) مكبلين بالأصفاد والحديد فأثنى بهم الى وسط الدار وكان فيها فأمروني الغلام أن اضرب اعناقهم وارم بها في البئر ، فضربت اعناقهم ورميت بها في البئر ثم فتح باب غرفة ثانية وكان فيها عدد من السادات من سلالة الزهراء (ع) محبوبين وكانوا مسنين فضربت اعناقهم ورميتهم في البئر وكان اخرج شيخاً أبيض البشرة فالتفت اليّ وقال اذا سألتك امي الزهراء يوم القيامة عن سبب قتلي فيماذا تجيب؟ فارتجفت أوصالي ، فالتفت اليّ الغلام وأمرني بضرب عنقه فضربت عنقه ورميت به في البئر ، ولاجل ذلك فان الله لن يغفر لي بعد كل ذلك ، فلماذا اصوم ؟.

يقول الراوي نقلت هذه القصة للامام الصادق (ع) فتألم كثيراً عندما سمعها ثم قال : ان هذا الذي قنط من رحمة الله لذنبه اكبر من قتل ستين شخصاً من سلالة النبي (ص.)

والخلاصة : ان اليأس من رحمة الله وفقدان الامل بمغفرته وعفوه ، كالكفر بالله ، ولهذا السبب اذا افسد الشيطان شخصاً ويأس هذا الشخص من رحمة الله يصبح من خلال ذلك كحميد بن قحطبة لا يصوم ولا يصلي ويرتكب اي جريمة تسنح له الفرصة للقيام بها.



ان اليأس من رحمة الله يؤدي الى ان يصبح الانسان مجرمًا ومذنباً ، يؤدي الى ان يتجاوز الانسان كل القيم والمبادئ والأعراف ويقفز فوق الضمير الانسانية ويستغرق في المزيد من الشهوات والمحرمات . بينما الأمل برحمة الله والثقة بالله واليقين من ان الله سيغفر كل ذنوب الانسان اذا تاب وعمل صالحاً سيجعل الانسان يسيطر على غرائزه وشهوته ، وينتصر في معركته الداخلية مع نفسه الامارة بالسوء.

14- هل يغفر الله الشرك والذنوب الكبيرة ومتى يكون العفو الإلهي العام؟

العفو الإلهي العام

لا يستطيع أحد أن يقول : " إن الله لن يرحمني لأن ذنوبي كبيرة او ان الله لن يغفر لي لأني مثقل بالذنوب".. فانك مهما كنت مثقلا بالذنوب الكبيرة والعظيمة فان الله اعظم منها فهو يغفر الذنب العظيم حتى ولو كان مثل ذنب ذلك الرجل الذي كان ينبش القبور في زمن النبي ويرتكب ابشع الاعمال.

بسم الله الرحمن الرحيم : قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم (الزمر /53)

تحدثنا في الحلقة الماضية حول المقطع الاول من هذه الاية ،والذي عنوانه النهي عن القنوط واليأس من رحمة الله وتحدث هنا حول المقطع الثاني من هذه الاية أعني قوله تعالى: (إن الله

يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) ان احدى خصوصيات الاسلام وميزات الاسلام انه لا يصل باتباعه ولا بغيرهم الى طريق مسدود ابداً ،بمعنى ان الاسلام لا يقول لأحد : لن اقبلك بعد الآن، الاسلام لا يطرد احداً من ساحته ولا يقفل الباب بوجه أحد من الناس مهما كان ذنبه كبيراً وعظيماً ،فلا يقفل الاسلام ابواب المغفرة والرحمة بوجه اولئك الخاطئين والعاصين وانما يبقى الابواب مفتوحة امامهم، يبقى ابواب الامل بالمغفرة وبامكانية محو الماضي ونسيانه مفتوحاً امامهم ،الاسلام يعلن بكل وضوح : (إن الله يغفر الذنوب جميعاً) ليؤكد من خلال ذلك حقيقة هامة وعامة هي : ان كل الذنوب من دون استثناء قابلة للمغفرة والعفو العام.

هذه الآية تعطي الأمل للجميع بأن طريق التوبة والعودة الى الله مفتوح امامهم ولذلك فان (وحشي) المجرم المعروف في التاريخ الاسلامي الذي ارتكب افظع جريمة في معركة احد عندما قتل حمزة عم النبي غدرًا وقد كان حمزة قائداً شجاعاً كرس كل حياته في سبيل الدفاع عن النبي وعن الاسلام ، وحشي هذا كان خائفاً من عدم قبول توبته عندما اراد ان يسلم ، لان ذنبه كان عظيماً ولكن مع ذلك فان النبي قبل اسلامه ،وقد قال بعض المفسرين ان هذه الآية نزلت بهذه المناسبة على الرسول الاكرم (ص) وفتحت ابواب الرحمة الالهية امام وحشي وامثاله ممن جاءوا الى النبي تائبين بعد ان انتصر الاسلام على اعدائه.



ولكن لا يمكن ان تكون هذه الحادثة سببا لنزول هذه الاية لان هذه السورة من السور المكية التي نزلت في مكة قبل ان يهاجر النبي الى المدينة ، ولم تكن معركة أحد قد وقعت يوم نزول هذه الآية ولم تكن ايضاً قصة شهادة حمزة ولا توبة وحشي ، فلا يمكن ان نقول بان توبة وحشي كانت احد اسباب نزول هذه الاية ، نعم هذه الاية من قبيل القانون العام الذي يمكن تطبيقه على وحشي وعلى غيره ممن ارتكبوا افطع الجرائم والمعاصي في حياتهم.

وعلى اية حال فان عموم هذه الاية يعطينا ان الله يغفر كل الذنوب من دون استثناء حتى الشرك والذنوب الكبيرة الاخرى، ومما يؤكد هذا العموم والشمول الموجود في الاية هو التعابير الواردة في هذه الاية فان جملة (ان الله يغفر الذنوب جميعاً) انه هو الغفور الرحيم (فيها اكثر من تأكيد على شمول مغفرة الله لكل انواع الذنوب مهما كانت كبيرة.

التأكيد الاول : هو التعبير بكلمة (إن) فان كلمة (إن) في قوله تعالى (إن الله يغفر الذنوب) للتأكيد، أي لتؤكد مغفرة



الله ورحمته لعباده المذنبين ،وكلمة (الذنوب) التي جمعت بالالف واللام التي تفيد العموم تشمل كل انواع الذنوب من دون أي استثناء ، وهذا تأكيد آخر على عموم وشمول المغفرة لكل الوان الذنوب ، والتأكيد الثالث هو ورود كلمة (جميعاً) كتأكيد اخر للتأكيد السابق، والتأكيد الرابع بعد كل ذلك بجملة انه هو الغفور الرحيم وهما صفتان من اوصاف الله الباعثة على الامل بحيث لا يبقى عند الانسان بعد ذلك ادنى شعور باليأس او فقدان الامل برحمة الله سبحانه.

وبعد كل هذه التأكيدات المتتالية في هذه الجملة القصيرة ، لا يستطيع احد ان يقول : إن الله لن يرحمني لأن ذنوبي كبيرة او ان الله لن يغفر لي لأني مثقل بالذنوب ، فانك مهما كنت مثقلاً بالذنوب الكبيرة والعظيمة فان الله اعظم منها فهو يغفر الذنوب العظيم حتى ولو كان مثل ذنب ذلك الرجل الذي كان ينبش القبور في زمن النبي ويرتكب ابشع الاعمال والذي وردت قصته في جملة اسباب نزول هذه الاية.

فقد روي أن معاذ بن جبل وهو أحد اصحاب النبي (ص) دخل على رسول الله ذات مرة باكياً فسلم على النبي فرد السلام عليه وقال له : ما يبكيك يا معاذ؟ فقال : يا رسول الله إن بالباب شاباً طري الجسد نقي اللون حسن الصورة يبكي شبابه بكاء الثكلى على ولدها وهو يريد الدخول عليك . فقال النبي (ص) : أدخل الشاب يا معاذ، فأدخله عليه فسلم فرد السلام ثم قال : ما يبكيك يا شاب؟..

فقال : كيف لا ابكي وقد ارتكبت ذنوباً ان اخذني الله عز وجل ببعضها أدخلني نار جهنم، ولا اراني الا سيأخذني بها ولا يغفر لي ابداً.

فقال رسول الله : هل اشركت بالله شيئاً؟

قال : اعوذ بالله ان اشرك بربي شيئاً.

فقال النبي : ا قتلت النفس التي حرم الله ؟ قال : لا.

فقال النبي : يغفر الله لك ذنوبك ، وإن كانت مثل الجبال الرواسي . فقال الشاب : فأنها اعظم من الجبال الرواسي

فقال النبي : يغفر الله لك ذنوبك وان كانت مثل الارضين السبع وبحارها ورمالها واشجارها وما فيها من الخلق .

فقال الشاب : فأنها اعظم من ذلك يا رسول الله

فقال النبي : يغفر الله ذنوبك وان كانت مثل السموات ونجومها ومثل العرش والكرسي .

قال : فأنها اعظم من ذلك

فنظر النبي (ص) اليه كهيفة الغضبان ، ثم قال له : ويحك يا شاب ذنوبك أعظم ام ربك ؟ ؟

فخر الشاب لوجهه وهو يقول : سبحان ربي ما شيء اعظم من ربي ، ربي اعظم يا نبي الله من كل عظيم . ؟

فقال النبي : فهل يغفر الذنب العظيم الا الرب العظيم ؟؟

قال الشاب : لا والله يا رسول الله ثم سكت الشاب فقال له النبي (ص): ويحك يا شاب الا تخبرني بذنب واحد من

ذنوبك؟؟

قال : بلى أخبرك ، اني كنت انبش القبور سبع سنين ، اخرج الاموات وأنزع الاكفان ، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار فلما حملت الى قبرها ودفنت وانصرف عنها اهلها وجن عليهم الليل ، اتيت قبرها فنبشته ثم استخرجتها ونزعت ما كان عليها من اكفائها وتركته متجردة على شفير قبرها ومضيت منصرفاً فأتاني الشيطان فأقبل يزينها لي ولم املك نفسي حتى جامعته وتركته ، وبعد ان تاب هذا الشاب وأدّ واجبات كثيرة لحو ماضيه ، قبل النبي توبته وقال له : يا بهلول أبشرك فأنتك عتيق الله من النار .

والخلاصة : ان كل الذنوب قابلة للعفو والمغفرة حتى الشرك بالله والذنوب الكبيرة الاخرى .

وهنا قد نتساءل : اذا كانت الاية تشمل كل الذنوب حتى الشرك فلماذا تقول الاية 48 من سورة النساء ان الشرك من الذنوب التي لا تغتفر؟؟ فان الاية تقول (إن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).

الا يدل ذلك على التنافي بين الآيتين؟؟.

والجواب : ان الاية 48 من سورة النساء التي تستثني المشركين من المغفرة فانها تقصد المشركين الذين ماتوا على شركهم

فهؤلاء لا يغفر الله لهم ولا تشملهم الرحمة الالهية ولا تقصد الاية اولئك المشركين الذين استفاقوا من غفلتهم قبل الموت وتابوا واتبعوا طريق الله والايمان لان اكثر المسلمين في صدر الاسلام كانوا مشركين ثم امنوا واتبعوا خط الله وتركوا عبادة الاوثان والشرك بالله وآمنوا بوحداية الله بعد أن دخلوا الاسلام فان هؤلاء بالتأكيد سيغفر الله ذنوبهم حتى الشرك الذي كانوا عليه وهؤلاء تشملهم آية (إن الله يغفر الذنوب جميعاً)



إذاً فالآية التي تقول (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك) يقصد بها ان الله لا يغفر للمشرك اذا مات على شركه اما اذا تاب وآمن وعمل صالحا واتبع خط الله فان الله يغفر ذنبه الذي كان عليه، ولهذا ورد في سبب نزول الاية انها نزلت في اهل مكة حيث قالوا : يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس لم يغفر له ، وقد عبدنا وقتلنا فكيف نسلم؟ فنزلت (قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً) لتؤكد هؤلاء ان ذنوبهم هذه قابلة للمغفرة والعفو من الله.

وهكذا نخرج من هذه الاية بوعدهم الهى بغفران جميع الذنوب الكبيرة والصغيرة ،اذا تاب الانسان وعمل صالحاً ،ولكن لا بد من التأكيد على ان اولئك الاشخاص الذين يحملون على اكتافهم ذنوباً ثقيلة وعظيمة فان عليهم ان يؤدوا واجبات كثيرة حتى يستطيعوا ان يمحوا آثار ماضيهم وسوابقهم وينالوا رحمة الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ، وأنبيوا
إلى ربكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . وأنبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم
العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) . الزمر / 53/ 54/ 55 .

تحدثنا في الحلقة الماضية حول الآية الأولى من هذه الآيات الثلاث وقلنا: ان الآية الأولى تفتح ابواب المغفرة والرحمة الالهية



امام الجميع من دون استثناء ، وتدعو الناس الى عدم اليأس والقنوط وعدم
فقدان الأمل بمغفرة الله ورحمته، وإنها تؤكد حقيقة هامة هي : ان جميع الذنوب
مهما كانت عظيمة وكبيرة فهي قابلة للمغفرة والعفو لان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : هل الوعد الذي اعطاه الله في الآية
الأولى بغفران جميع الذنوب هو وعد مطلق بحيث ان الله يغفر للمذنبين
والعاصين وإن لم يتوبوا ويعودوا الى الله ، ام هو وعد مشروط بالتوبة والانابة الى
الله؟

والجواب على هذا التساؤل يتضح من خلال الايتين الثانية والثالثة بصورة جيدة ، لان هناك ثلاثة أوامر وردت في هاتين
الايتين وضحت كل شيء بهذا الخصوص:

الامر الاول : أنبيوا الى ربكم ، والأمر الثاني : وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ، والأمر الثالث : واتبعوا أحسن ما
أنزل إليكم من ربكم .

هذه الأوامر الثلاثة تقول : إن ابواب المغفرة والرحمة مفتوحة أمام الجميع من دون استثناء ولكن بشرط ان يعودوا الى الله
ويتوبوا اليه من ذنوبهم وآثامهم ، وأن يستسلموا لأوامر الله ونواهيه، وأن يظهروا صدق توبتهم وإنابتهم واستسلامهم بالعمل والممارسة .

فالعفو العام والرحمة الواسعة التي وعد الله بها العاصين والمسرئين على أنفسهم في الآية الأولى ، مشروطة بشروط مذكورة في
الآية الثانية والثالثة وهذه الشروط لا يمكن ان يتجاهلها الانسان اذا اراد ان يدخل الى ساحة الرحمة الالهية.

وعلى هذا الاساس فكل من يريد ان يحصل على عفو الله ومغفرته ويريد ان يصل الى ساحة الرحمة الالهية يجب ان يخطو هذه الخطوات الثلاث:

الخطوة الاولى: التوبة والندم على الذنب والتوجه الى الله (وانيبوا الى ربكم) .

الخطوة الثانية : الايمان بالله والتسليم له في كل ما أمر به وفي كل ما نهي عنه.

الخطوة الثالثة : العمل الصالح وقد عبرت الاية الثالثة عن هذه الخطوة بقوله تعالى:(واتبعوا احسن ما أنزل اليكم من ربكم) اي اعملوا بأحسن ما امركم الله به وهو الواجبات والمستحبات.

فاذا استطاع الانسان ان يجتاز هذه المراحل الثلاث يكون قد دخل الى ساحة عفو الله ورحمته الواسعة طبقاً للوعد الالهي المؤكد مهما كان ذلك الانسان مثقلاً بالمعاصي والذنوب. وهكذا نجد من خلال هذه الايات ان التوبة هي الشرط الاساس للعفو والمغفرة وللحصول على رحمة الله .



وحقيقة التوبة هي : ان يحصل لدى الانسان المذنب تفاعل داخلي ويندم على ما فعله من ذنوب في الماضي ويندم على كل عمل خالف فيه رضا الله سبحانه بحيث يدفعه هذا الندم الى ان يقرر ان لا يرتكب تلك الذنوب مرة اخرى.

ومن هنا فان التوبة لا تتحقق الا بثلاثة شروط:

الاول : ان يتمتع الانسان عن المعصية ،**الثاني :** ان يندم على فعلها بحيث يشعر الانسان بالحسرة والخجل وتأنيب الضمير ،**الثالث :** ان يقرر عدم العودة الى المعصية مرة اخرى.

ولذلك فلا يكفي في التوبة ان يقول الانسان استغفر الله وأتوب اليه مجرد كلمة سطحية خالية من أي مضمون.

فقد روي في نهج البلاغة أن شخصاً قال في محضر أمير المؤمنين (ع): استغفر الله واتوب اليه ،، فقال له الإمام : ثكلتك امك اتدري ما الاستغفار؟؟ ان الاستغفار درجة العلين ،



وهو اسم واقع على ستة معان : **اولها** الندم على ما مضى ،
الثاني : العزم على ترك العود اليه ابدًا، **الثالث** : ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله سبحانه أملس ليس عليك تبعة، **الرابع** : ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها ، **الخامس** : ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيه بالاحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ لحم جديد **والسادس** : ان تذيق الجسم ألم الطاعة

كما أذقته حلاوة المعصية ذلك قول استغفر الله . نهج البلاغة /قصار الحكم/417.

هذا الحديث يدل على انه لا بد ان يتوافر ركنان اساسيان في التوبة هما : الندامة على الذنب والعزم على عدم العودة اليه ابدًا ، وبالإضافة الى ذلك لا بد حتى تقبل توبة الانسان المذنب من ان يحقق شرطين مهمين من شروط قبول التوبة هما : **اولا** : ان يرجع كل ما اخذه من الناس من دون حق الى اصحابه، **ثانيا** : ان يقضي كل الفرائض والواجبات الالهية كالصلاة والصوم وغيرها التي كان قد تركها وتخلّف عن اداؤها في الماضي قبل التوبة واذا لم يستطع ان يقضي كل ما عليه فان عليه ان يؤدي المقدار الذي يستطيعه ويقدر عليه قدر الامكان، فاذا استطاع الانسان ان يحقق كل ذلك فندم على ما صدر منه من ذنوب وقرر بصدق وجدّ ان لا يرتكب المعاصي مرة اخرى ،فانه يكون قد سلك طريق التوبة والعودة الى الله ومهما كان الانسان غارقا في الذنوب فان توبته الصادقة تطهر قلبه وتزكي نفسه .

الانسان التائب يولد ولادة جديدة يرجع قلبه الى حالته الطبيعية والفطرية طاهراً من آثار وظلمات الذنوب والمعاصي ،ويكون الانسان التائب من الذنب كمن لا ذنب له كما ورد في الاحاديث .

واذا سلك الانسان طريق التوبة وقبل الله توبته فعند ذلك تغمره التوفيقات والالطاف الالهية وتشمله المغفرة والرحمة الالهية الواسعة ومحبة الله ،ويصبح من التوابين الذين يحبهم الله حسب نص القرآن (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) .

اما كيف يغفر الله ذنوبه ومعاصيه ويمحو عنه كل ما في الماضي .فهذا ما أوضحه لنا الإمام الصادق (ع) في حديث مروي عنه حيث روي انه قال : اذا تاب العبد توبة نصوحاً، احبه الله فستر عليه في الدنيا والاخرة ،فقليل له : وكيف يستر عليه؟ قال : ينسي ملكيه ما كتب عليه من الذنوب ،ثم يوحى الى جوارحه ان اکتمي عليه ذنوبه، ويوحى الى بقاع الارض ان اکتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب ،فيلقى الله حين يلقاه وليس عليه شيء يشهد بشيء من الذنوب .

ولاجل كل ذلك فانه يجب على الانسان ان يبادر الى التوبة من كل ذنب كبير او صغير ،خاصة في شهر رمضان حيث ابواب الرحمة مفتوحة فيه للجميع كما قال رسول الله (ص) : ايها الناس إن ابواب الجنان في هذا الشهر مفتحة فاسألوا ربكم ان لا يغلقها عليكم .

ولا يجوز للانسان ان يسوّف في موضوع التوبة بأن يقول غداً اتوب او بعد غد اوفي السن الفلاني ،إذ من الذي يضمن لنفسه ان يعيش الى غد او الى السن الفلاني ولا يدركه الموت فجأة وعلى حين غفلة وهو مستغرق في الذنوب والمعاصي،لذلك يجب على الانسان ان يبادر الى التوبة والعودة الى خط الله قبل فوات الآوان، ويجب ان تكون عودته صادقة وان تحدث انقلاباً وتغيراً في داخله،ومن ناحية ثانية يجب ان يبدأ الانسان بعد توبته وعودته الى الطريق الصحيح عمليات الاعمار وتحديد البناء لأسس الايمان والعقيدة التي كانت قد دمرت بفعل الذنوب .ومن ناحية ثالثة :يجب ان يصلح عجزه الروحي وسوء خلقه بالاعمال الصالحة ،فكلما كانت الذنوب السابقة كبيرة فان عليه ان يقوم بالاعمال الصالحة اكثر ،وهذا هو بالتحديد ما بينه القرآن الكريم في الآيات الثلاث تحت عنوان الانابة والاستسلام واتباع الأحسن.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

" إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم ينوبون من قريب فاولئك ينوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً " النساء / 17.

ذكرنا في المقال السابق أن باب التوبة مفتوح امام الجميع من دون استثناء وان التوبة تعني : ان يعود الانسان الى خط الله ، ويندم على المعصية ، ويقرر عدم العودة اليها نهائياً. وفي هذه الاية يشير الله سبحانه الى شروط قبول التوبة ، فالاية تذكر شرطين أساسيين من شروط قبول التوبة.

الشرط الاول : ان تكون التوبة عن ذنب صدر من الانسان بجهالة.

الشرط الثاني : ان تكون التوبة سريعة وفورية

وليس بعد فاصل زمني بعيد عن المعصية.



فيما يعود للشرط الأول تقول الآية : (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) اي التوبة التي وعد الله عباده قبولها منهم والتي يكون قبولها حقاً من حقوقهم هي التوبة من الاعمال والذنوب التي تصدر عن جهالة من الانسان ، فالذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون هؤلاء تقبل توبتهم وعلى الله ان يقبل توبتهم

لان الله وعد عباده ان يقبل توبة التائب منهم والله لا يخلف الميعاد ، وهذا معنى (إنما التوبة على الله).

ويجب هنا أن نعرف ماذا تعني كلمة الجهالة الواردة في الآية؟ فهل تعني الجهل وعدم المعرفة بالمعصية؟ ام هي الجهل وعدم المعرفة بالآثار السيئة والعواقب المؤلمة للذنوب والمعاصي؟؟.

والجواب : إن الذي يستفاد من القرائن أن المراد بكلمة (جهالة) في الآية هنا هو الجهل وعدم المعرفة بالآثار السيئة والنتائج السلبية التي تترتب على الذنوب والمعاصي ، بحيث تصدر الذنوب والمعاصي من الانسان نتيجة طغيان غرائزه وسيطرة أهوائه وشهواته وغلبتها على صوت العقل والايمان ، من دون وعي وفهم لنتائج هذه المعاصي ، كأن تتغلب وتسيطر مثلاً الغريزة الجنسية

على الشخص وينظر لغير زوجته نظرة شهوانية،فانه في هذه الحالة يكون قد ارتكب ذنباً بجهالة ،فهو يعلم ان النظر لغير الزوجة حرام ومعصية، ولكن شهواته تسيطر عليه،واهوائه تتغلب على عقله وإيمانه،فيقع تحت تأثير غرائزه وشهواته ،وينظر ويرتكب المعصية،من غير ادراك للنتائج السلبية لهذه المعصية،ولكن عندما تهدء غرائزه وشهواته يعود الى نفسه ويدرك انه ارتكب عملاً قبيحاً ، فالذين يعملون السوء ويرتكبون المعاصي بهذا المعنى ،اي نتيجة طغيان غرائزهم واهوائهم وشهواتهم ،هؤلاء يقال لهم في التعبير القرآني (الذين يعملون السوء بجهالة) وهؤلاء تقبل توبتهم اذا تابوا وندموا على أعمالهم.

إذاً الانسان الذي يرتكب الذنب عن جهل وغفلة وعدم وعي نتيجة سيطرة اهوائه وشهواته تقبل توبته. واما الانسان الذي يرتكب الذنب من دون ان تكون هناك جهالة ،وغلبة للشهوة،وانما يرتكبه عناداً للحق وانكاراً لحكم الله،بمعنى انه يعرف ان العمل الذي يفعله هو ذنب ومعصية ولكنه مع ذلك يفعله عمداً وعناداً و تحدياً وتمرداً على الله وعلى احكامه،ان ارتكاب مثل هذا الذنب ينبيء عن الكفر ،فلا تقبل التوبة منه، إلا أن يتخلى عن عناده وعدائه وانكاره وتمرده على الله.

فمثلاً يستغيب فلاناً من الناس وهو يعلم ان الغيبة حرام ،فاذا طالبتة بذلك وقلت له لا تستغيب يبرر لك هذا الذنب ويقول لك : هذه الصفة التي قلتها موجودة في ذلك الشخص وهو يجب ان يستغاب، وهذا عمل جائز ،فمثل هذا الانسان يتعمد المعصية ويبررها ويصر على ارتكابها ،ولهذا فلا تقبل توبته لانه يرتكب الذنب عناداً ولا يعتبر نفسه مذنباً حتى يتوب ويندم على فعله.



هناك كثيرون من الاشخاص من هذا النمط يرتكبون الذنوب عن عمد واصرار ويتمردون على الله باعمال يعلمون انها محرمة ، الاية تحذر هؤلاء تحذر ان يصبح الانسان لجوجاً ومعانداً تغمره العصبية الفردية او الجماعية ويرتكب الذنوب عناداً وليس عن جهالة،تحذر هؤلاء من عدم قبول توبتهم ،وتوحي بان على الانسان ان لا يعمل السوء عن عناد واستعلاء على الله لان الله انما يقبل توبة المذنب العاصي اذا لم يرتكب المعصية استكباراً على الله وتمرداً على احكامه،وانما يرتكبها عن جهالة وغلبة شهواته وسيطرة اهوائه.

وفي الحقيقة إن هذه الاية تبين نفس الحقيقة التي يذكرها الامام زين العابدين (ع) في بيان واضح في دعاء أبي حمزة الثمالي إذ يقول (ع) : (الهي لم اعصك حين عصيتك وانا بربوبيتك جاحد ولا بأمرك مستخف ،ولا لعقوبتك متعرض ولا لوعيدك متهاون ،لكن خطيئة عرضت وسولت لي نفسي وغلبني هواي).

فالامام (ع) يعلمنا في هذا الدعاء كيف نقف بين يدي الله لتتوب اليه من ذنوبنا ، ان نقف بين يدي الله لنقول: إن ذنوبنا صدرت منا نتيجة غلبة اهوائنا وشهواتنا وغفلتنا وجهالتنا فتقبل يا رب منا التوبة ، وليس نتيجة انكارنا واستخفافنا باحكامك واومرك ولا نتيجة تماوننا بعقوبتك ووعدك حتى ترفض توبتنا ورجوعنا اليك.

هذا كله فيما يتعلق بالشرط الاول لقبول التوبة.

واما الشرط الثاني لقبول التوبة فالاية تقول : (ثم يتوبون من قريب) وقد وقع كلام بين المفسرين في المقصود من كلمة (قريب) في الاية.

فقد ذهب كثيرون الى ان معناه التوبة قبل ان تظهر علامات الموت، فحتى تقبل التوبة من الانسان العاصي لا بد ان تكون توبته من قريب اي قبل مجيء الموت وظهور علاماته ومؤشراته ، لأن التوبة لا تقبل من الانسان اذا تاب وهو على فراش الموت.

ولكن بعض المفسرين ذهب الى تفسير كلمة (قريب) بالزمان القريب من وقت حصول المعصية، فيكون معنى الآية ان التوبة تقبل من الذين يعملون السوء بجهالة ،ومن الذين يتوبون بعد صدور المعصية منهم فوراً ويندمون على فعلها بسرعة وقبل مرور فاصل زمني طويل ،لان التوبة الكاملة هي التي تغسل آثار الجريمة وتزيل رواسب المعصية من الجسم والروح بشكل مطلق حتى لا يبقى أي اثر منها في القلب ، ولا يمكن هذا الا اذا تاب الانسان وندم قبل ان تتجذر المعصية في كيانه وقبل ان تتعمق اثارها في وجوده، لانه في غير هذه الصورة ستبقى اثار المعصية في زوايا روحه ،وتعشش في خلايا قلبه ويصبح من الصعب ازلتها.

فالتوبة الكاملة التي يقبلها الله هي التوبة التي تتحقق بعد وقوع المعصية فوراً وفي اقرب وقت.

اما التوبة التي تتحقق بعد تسويف ومماطلة وتأخير وفاصل زمني بعيد، فليس على الله ان يقبل هذه التوبة واذا قبل الله هذه التوبة فتفضلاً منه وليس حقاً واجباً عليه.

إذا فالاية توحى بأن على الانسان ان يسارع الى التوبة فور صدور المعصية منه ، وتحذره من التسويف والتأخير لئلا تتعرض توبته الى خطر الرفض وعدم القبول من الله سبحانه وتعالى.



وعلى هذا الاساس فاذا توفر هذان الشرطان في توبة العاصي ،بان كانت توبته من ذنب ارتكبه بجهالة وليس عن عناد واستكبار ،وكانت توبته سريعة وفورية وليس بعد فاصل زمني طويل من حصول المعصية .. اذا تحقق ذلك فان النتيجة هي ما يقوله عز وجل في

المقطع الاخير من الاية (فاولئك يتوب الله عليهم) اي يقبل الله توبتهم ويغفر لهم وتشملهم الرحمة الالهية . ثم تختتم الاية بقوله تعالى (وكان الله عليماً حكيماً) وانما قال تعالى (وكان الله عليماً حكيماً) ولم يقل : (وكان الله غفورا رحيماً) مع انه كان هو المناسب حسب جو الاية.

للدلالة على ان فتح باب التوبة امام المذنبين انما هو لعلمه سبحانه وتعالى باحوال عباده وما قد يؤدي اليه ضعفهم وحالتهم من ارتكاب الذنوب ، ولحكمته التي تقتضي ان يضع لهم ما يحتاجون اليه لاصلاح امورهم، وهو لعلمه وحكمته لا تغره ظواهر احوال الناس ولا تمرر عليه اساليب المكر والخديعة لانه مطلع على ما في القلوب وعالم بكل شؤون الناس واوضاعهم واحوالهم فعلى الانسان التائب ان يتوب حق التوبة وان يتوب توبة صادقة كاملة حتى يتقبل الله توبته ويستجيب له حق الاجابة.

بسبح الله الرحمن الرحيم

"انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم ينوبون من قريب فاولئك ينوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً وليسست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني نبت الان ولا الذين يمشون وهم كفار اولئك اعندنا لهم عذاباً أليماً. النساء 17-18.

تقدم الكلام حول الاية الاولى وقلنا انها تشير الى شروط قبول التوبة، وان التوبة انما تقبل من اولئك الذين يرتكبون المعاصي



نتيجة غفلتهم وسيطرة اهوائهم وشهواتهم ، ومن اولئك الذين يتوبون من ذنوبهم فوراً وسريعاً وليس بعد فاصل زمني طويل. واما الاية الثانية فانها تشير الى اولئك الذين لا تقبل توبتهم، وهي تصنفهم الى طائفتين ايضاً، فهناك طائفتان من الناس لا تقبل توبتهم بمعنى انه لا جدوى من توبتهم:

الطائفة الاولى :اولئك الذين يعملون السيئات ويرتكبون المعاصي ولا يتوبون الا بعد عروض الموت عليهم، فاذا قدم الموت على احدهم واصبح في حالة الاحتضار على فراش الموت قال:

اني تبت الان وندمت على ما فعلته من الذنوب والمعاصي، فمثل هذا الشخص لا تقبل توبته في هذه الحالة ولا جدوى من توبته ولا أثر لها.

الاية تقول : وليسست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان" اي لا تقبل توبة الذين يعملون السيئات ويستمررون في فعل المعاصي والذنوب الى اللحظة التي يقدم الموت عليهم فاذا قدم الموت عليهم واصبحوا في حالة الاحتضار وانكشفت امامهم الحقائق قال واحدهم اني تبت الان.

والسبب في عدم قبول هذا النوع من التوبة واضح ،لأن الانسان عند الاحتضار وفي حضرة الموت تنكشف له الحجب والاستار فيرى ويشاهد ما لم يكن يراه ويشاهده من قبل، فهو يرى بعد انكشاف الغطاء عن عينيه بعض الحقائق المتعلقة بالعالم الآخر ويشاهد بعينه نتائج اعماله التي ارتكبها في هذه الدنيا، وتتخذ القضايا التي كان يسمع بها عن حقيقة الموت وجزاء الاعمال صفة محسوسة، وفي هذه الحالة فانه من الطبيعي ان يندم كل مجرم على جرمه وافعاله السيئة ويفر منها فرار الذي يشاهد

ألسنة النيران تقترب من جسمه ، ولهذا نقرأ في القرآن الكريم ان ابواب التوبة كانت تغلق في وجه بعض المذنبين والمفسدين الذين كانوا يبادرون الى التوبة في حالات الشدة وعند ظهور بوابر العذاب الدنيوي وعندما كانوا يواجهون مخاطر ذنوبهم وأعمالهم ، فمثلاً نقرأ قول الله تعالى فيما يحدثنا عن فرعون : "حتى اذا ادركه الغرق قال : آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل ،وانا من المسلمين ،الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين" يونس 90-91.

فالله يحدثنا في هذه الاية عن فرعون الطاغية والمستكبر والمفسد في الارض يحدثنا عن موقفه عندما واجه خطر الغرق والموت عندما كان يطارد موسى وقومه ويلاحقهم ،وكيف انه سارع بعد ان شاهد بأمر عينيه بوابر العذاب والهلاك والموت غرقاً كيف انه سارع الى اعلان التوبة والايان والاسلام ،ولكن الله لم يقبل توبته لانه لم يقل "امنت .. وانا من المسلمين" الا بعد ان رأى مخاطر اعماله ونتائج ذنوبه واستكباره ماثلة امامه،فهو لم يعلن هذا الموقف ،موقف الايمان والتوبة الا بعد ان كان مجبراً على ذلك ولذلك فان الله يخاطبه ويقول : "الان وقد عصيت قبل كنت من المفسدين " الان تعلن ايمانك وتوبتك وفي مثل هذه الحالة التي لا جدوى فيها من التوبة ولا أثر فيها للايمان بعد كل ذلك التاريخ من الجريمة والفساد.



وهكذا يستفاد من بعض الايات القرآنية ان بعض العصاة يندمون ويتوبون عندما يشاهدون العذاب الالهي في الآخرة ولكنهم يتندمون في الوقت الذي لا ينفع فيه الندم، فقد حدثنا الله عن موقف المجرمين يوم القيامة في سورة السجدة حيث يقول تعالى : "ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقوفون " الاية 12.

فهؤلاء ندموا بعد ان ابصروا بأعينهم العذاب الالهي يوم القيامة ،فلا فائدة لندمهم في ذلك الوقت وتوبتهم لا تقبل منهم في هذه الحالة ،لان اليأس من الحياة الدنيا وهول يوم القيامة وهول العذاب ،هما اللذان اجبراهم على ان يندموا على اعمالهم ويقرروا الرجوع الى ربهم من أجل ان يعملوا صالحاً.

ان هؤلاء اشبه ما يكونون بالمجرمين الذين اذا شاهدوا اعداء المشنقة واحسوا بالحبل على رقابهم ندموا على جرائمهم وافعالهم السيئة ومن الواضح ان مثل هذه التوبة وهذا الندم لا يعد فضيلة ولا مفخرة ولا تكاملاً ولهذا لا يكون لها اي اثر. هذا كله عن الطائفة الاولى الذين لا تقبل توبتهم وهم من يتوبون عندما تظهر امام عيونهم ملامح الموت وتبدو عليهم اثاره وعلاماته.

وأما الطائفة الثانية من الذين لا تقبل توبتهم : فهم اولئك الذين يموتون كفاراً . الاية تشير الى هؤلاء فتقول : "ولا الذين يموتون وهم كفار " وقد ذكر الله بهذه الحقيقة في آيات اخرى في القرآن الكريم . حيث تكرر في القرآن الكريم انه لا نجاة من الكفر

ولا خلاص للإنسان إذا مات وهو كافر ، يقول تعالى في سورة البقرة : إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم . ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدون فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون. -162

ويقول تعالى في سورة آل عمران : ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين. - 91 اذاً الذين يموتون وهم كفار لا تقبل توبتهم وليس امامهم سوى خيار واحد هو العذاب والهلاك يوم القيامة . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : متى لا تقبل توبة الذين يموتون كفاراً؟.

والجواب : ان بعض المفسرين احتمل ان لا تقبل توبتهم في العالم الآخر، فالذين يتمادون في الكفر ثم يموتون كفاراً ويتوبون

يوم القيامة وفي الآخرة ، فان الله لا يتوب عليهم وان إيمانهم لا ينفعهم في ذلك الوقت.



ولكن بعض المفسرين احتمل معنى آخر لجملة "ولا الذين يموتون كفاراً". فقال ان الذين لا تقبل توبتهم هم الذين يتوبون من ذنوبهم حال إيمانهم ولكنهم لا يستمرون في الإيمان ويموتون وهم كفار ، فتوبتهم السابقة من ذنوبهم التي بادروا اليها عندما كانوا مؤمنين لا تقبل منهم

ولا يكون لها اي اثر او فائدة وذلك لأن الكفر اللاحق يحبط كل اعمالهم السابقة حتى الصالحة منها حسب صريح الايات القرآنية ، فتنتفي فائدة توبتهم السابقة التي صدرت منهم عندما كانوا مؤمنين بعد ان انتقلوا الى الكفر وماتوا وهم كفار.

ومهما يكن فان ما نستخلصه من مجموع الايتين اللتين ذكرناهما في بداية الحديث: ان هناك اربع طوائف من الناس لا تقبل توبتهم بمعنى انه ليس حقاً على الله قبولها واذا كان الله قد يقبلها فانه يقبلها تفضلاً من عنده ، وهذه الطوائف الاربعة هم:

أولاً :الذين يتوبون من ذنوب صدرت منهم عن عناد وعداء وانكار واستكبار وتمرد على الله.

ثانياً :الذين يتوبون بعد تسويف ومماطلة وتأخير.

ثالثاً :الذين يتوبون بعد ظهور علامات الموت وآثاره.

رابعاً :الذين يموتون كفاراً ثم يتوبون.

كما ان المستفاد من الايتين ان الذين تقبل توبتهم هم:

أولاً: الذين يتوبون من ذنوب صدرت منهم عن غفلة وجهالة وغلبة للشهوة.

ثانياً: الذين يسارعون الى التوبة بعد صدور الذنب منهم فوراً وفي اقرب وقت ممكن.

ثالثاً: الذين تتحقق التوبة منهم قبل ظهور اثار الموت وعلاماته.

رابعاً: الذين يموتون وهم مؤمنون ،فان الله يقبل توبتهم في الآخرة اذا لم تكن عن عناد واستكبار.

يقول الله تعالى فيما حدثنا به من قول نوح لقومه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(فقلن استغفروا ربكم إنه كان غفاراً . يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) (نوح / 10-12 . ويقول نعالكم فيما حدثنا به من قول هود لقومه:

(ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزيدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) هود / 52.

إذا تحققت التوبة من الانسان وقبل الله توبته ، فان أولى ثمرات التوبة التي يحصل عليها الانسان التائب هي ان الله يغفر له



ذنوبه ويعفو عنه ويدخله ساحة رحمته. وليست هذه هي النتيجة الوحيدة التي يحصل عليها الانسان التائب بل ان هناك نتائج اخرى للتوبة دلت عليها الايات القرآنية، من هذه الايات الآيتان اللتان قرأناهما في بداية الحديث ، فان هذه الايات تدل بوضوح على ان التوبة تكون سبباً في حصول التائبين على فوائد وثمرات مادية بالإضافة الى حصولهم على النتائج الروحية والمعنوية المتمثلة بغفران ذنوبهم وتطهيرهم من سلبات المعاصي والمحرمات.

وقد ذكرت الايات المتقدمة عدة نعم مادية وعد الله بها المستغفرين والتائبين وهي :

اولاً: ان الله يفيض على التائبين والمستغفرين بركات السماء فتهطل الامطار المفيدة والمباركة التي تكون سبباً في ظهور بركات الارض وخيراتها، وهذا ما اشارت اليه جملة (يرسل السماء عليكم مدراراً) فان كلمة مدراراً صيغة مبالغة من در بمعنى هطل ، وهي تعطي معنى هطول الامطار بما يستتبع ذلك من الخيرات المفيدة والكبيرة.

ثانياً : كثرة الاموال والارزاق (ويمددكم بأموال)

ثالثاً : كثرة الاولاد والثروات الانسانية (ويمددكم بأموال وبنين)

رابعاً: الحدايق المباركة ، وهي ما عبر عنه في الاية بقوله تعالى (ويمجعل لكم جنات)

خامساً : الانهار الجارية (ويجعل لكم انهاراً)



وقد جاء في الروايات ما يؤكد حصول هذه النتائج المادية للتائبين الصادقين ، فنحن نقرأ في نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين (ع) : انه قال في بعض خطبه : وقد جعل الله الاستغفار سبباً لدر الرزق ورحمة الخلق ، فقال سبحانه : استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً .

وقد ورد في الروايات الاسلامية ايضاً : ان الربيع بن صبيح قال : كنت عند الحسن بن علي عليهما السلام فجاءه رجل فشكا له من الجرب والقحط ، فقال الحسن (ع) : استغفر الله ، فجاءه رجل اخر فشكا له من الفقر فقال له ايضاً : استغفر الله ، فجاءه رجل ثالث وقال له : ادع لي ان يرزقني الله ولداً ، فقال الحسن عليه السلام : استغفر الله .

يقول الربيع بن صبيح : فتعجبت وقلت له : ما من احد يأتيك ويشكو اليك أمره ويطلب النعمة الا امرته بالاستغفار والتوبة الى الله؟!

فاجابه الحسن (ع) : ان ما قلته لم يكن من عند نفسي وانما استفدت ذلك من كلام الله عزوجل الذي يحكيه عن لسان نبيه نوح اي من قوله تعالى : (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً) .

اذن التوبة والرجوع الى خط الايمان والتقوى ، هي اساس عمران الدنيا والاخرة فهي اساس العمران والخصب وزيادة القوة المادية والمعنوية ، وهي اساس كثير من الخيرات في هذه الدنيا ، وقد ورد في بعض الروايات ، انه عندما امتنع قوم نوح من قبول دعوته والاستجابة لها ، حل عليهم القحط وهلك كثير من اولادهم ، وتلفت اموالهم واصحاب العقم ونسائهم وقل عندهم الانجاب ، فقال لهم نوح (ع) ان تستغفروا وتؤمنوا بالله فسيدفع عنكم كل هذه البلايا والمصائب ، ولكنهم عاندوا واصروا على ذنوبهم واستمروا في استكبارهم وطغيانهم حتى حل عليهم العذاب النهائي ، وبالإضافة الى الفوائد والنتائج التي ذكرتها الايات المتقدمة للاستغفار ، فان هناك فوائد وفضائل اخرى للاستغفار والتوبة ذكرتها ايات وروايات اخرى منها : ان التائب محبوب عند الله حيث يقول الله تعالى في سورة البقرة (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)؟؟؟

وقد ورد في الحديث عن الصادق (ع) : ان الله يفرح بتوبة عبده المؤمن اذا تاب كما يفرح احدكم بضالته اذا وجدها .



ومنها : ان الله يبدل معصية التائب الى حسنة ، فأثر التوبة ليس فقط ازالة ظلمة المعصية من قلب الانسان بل احلال نور الطاعة محلها ، كما قال تعالى في سورة الفرقان : (والذين لا يدعون مع الله الهاً اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلقى أثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهاناً ، الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) . 68---70.

اذن فالتائبون الذين يعبرون عن صدق توبتهم بالعمل الصالح هؤلاء (يبدل الله سيئاتهم حسنات).

ومن فضائل التوبة ايضاً : ان الملائكة تدعو للتائبين والعائدين الى الله بالمغفرة والرحمة ، بحيث يكون التائبون مورد ثناء الملائكة واهتمامهم ورعايتهم .

يقول تعالى في سورة المؤمنين اشارة الى ذلك : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم ، وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم . 7—9.

ومنها : ان التوبة سبب في اطالة العمر وسعة العيش يقول تعالى في سورة هود (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتنعكم متاعاً حسناً الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله) /3.

اذن فكما ان الذنوب والمعاصي توجب قصر العمر ، فان التوبة توجب إطالة العمر .

هذه هي بعض فوائد وفضائل التوبة التي وعد الله التائبين بها ، فما على الانسان المذنب والعاصي الا ان يبادر الى التوبة والعمل الصالح من اجل ان يحصل على الرحمة كلها وعلى الخير كله في الدنيا والاخرة .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

19 لماذا لم يحدد الله سبحانه ليلة القدر في شهر رمضان المبارك؟!

ليلة القدر

الله سبحانه ربما يكون قد أخفى ليلة القدر بين الليالي كي يتجه الناس الى عبادته في جميع الليالي، وهذا مثلما أخفى رضاه بين انواع الطاعات كي يتوجه الناس الى جميع الطاعات، وكما أخفى غضبه بين المعاصي كي يتجنب الناس جميع المعاصي، وكما أخفى احبائه واوليائه بين عبادته كي يحترم كل الناس، وأخفى وقت الموت كي يكون الناس دائما على استعداد له.

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة القدر : إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من الف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، سلام هي حتى مطلع الفجر. "



هذه السورة المباركة تشير الى عدة حقائق، ترتبط بليلة القدر وخصائصها وصفاتها وما حصل فيها في الماضي كنزول القرآن وما يحصل فيها عادة في كل سنة كنزول الملائكة والروح لتدبير كل أمر من أمور الناس.

وقبل ان نذكر الحقائق التي تحدثت عنها السورة لا بد من التأكيد على ثلاثة أمور:

الأمر الاول :انه لا شك في ان ليلة القدر هي ليلة من

ليالي شهر رمضان وهذا هو مقتضى الجمع بين الايات النازلة بهذا الخصوص، فانه لو جمعنا بين الاية الاولى من هذه السورة (إنا أنزلناه في ليلة القدر) الدالة على نزول القرآن في ليلة القدر، والاية 185 من سورة البقرة (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) الدالة على نزول القرآن في شهر رمضان، أقول لو جمعنا بين هاتين الايتين، لاستنتجنا : ان ليلة القدر هي احدى ليالي شهر رمضان، وان القرآن نزل في شهر رمضان وفي ليلة القدر منه بالذات، ولكن آية ليلة من ليالي شهر رمضان هي ليلة القدر؟؟.

فهذا الأمر لم يبين في القرآن الكريم فالقرآن لم يعين أية ليلة هي من ليالي الشهر المبارك، فلم يحدد مثلاً انها الليلة التاسعة عشرة او الحادية والعشرون او الثالثة والعشرون وما الى ذلك، وإنما التعيين والتحديد جاء من خلال الروايات المروية عن النبي (ص) وعن ائمة اهل البيت عليهم السلام، فهي التي عينت لنا اية ليلة هي ليلة القدر من ليالي شهر رمضان، وقد ذكرت في الروايات تحديدات متعددة لليلة القدر، ذكر مثلاً انها أول ليلة من شهر رمضان، او الليلة السابعة عشرة او الليلة التاسعة

عشرة او الليلة الحادية والعشرون او الثالثة والعشرون او السابعة والعشرون او التاسعة والعشرون، كل هذه التحديات ذكرت في الروايات ،ولكن المشهور في الروايات كثيراً ان ليلة القدر هي في العشر الاواخر من شهر رمضان وفي الليلتين الحادية والعشرين او الثالثة والعشرين.ولذلك فقد ورد في بعض الاحاديث ان النبي (ص): كان يحبي كل الليالي العشر الاخيرة من الشهر المبارك بالعبادة.

وروي عن الإمام الصادق (ع): انها الليلة الحادية والعشرون او الثالثة والعشرون وعندما أصر عليه أحدهم في تعيين واحدة بين الليلتين لم يزد الإمام على ان يقول : ما يسر ليلتين فيما تطلب ،بمعنى ان الانسان اذا كان يطلب التقرب الى الله فاحياء ليلتين في سبيل الوصول الى هدفه امر سهل وميسور . وهذا في الواقع حث من الإمام على احياء ليلتي الواحد والعشرين والثالثة والعشرين معاً ، وهناك روايات متعددة عن ائمة اهل البيت (ع) تركز على الليلة الثالثة والعشرين بينما روايات اهل السنة تركز على الليلة السابعة والعشرين.

ليلة القدر اذاً محاطة بمالة من الابهام والخفاء وهذا يدعونا الى طرح سؤال عن سبب هذا الابهام والخفاء في تعيين ليلة القدر؟؟.



الاعتقاد السائد ان اختفاء ليلة القدر بين ليالي شهر رمضان يعود الى توجيه الناس الى الاهتمام بجميع هذه الليالي واحياءها جميعا بالعبادة . فالله ربما يكون قد اخفى ليلة القدر بين الليالي كي يتجه الناس الى عبادته في جميع الليالي ،وهذا مثلما اخفى رضاه بين انواع الطاعات كي يتوجه الناس الى جميع الطاعات ،وكما اخفى غضبه بين المعاصي كي يتجنب الناس جميع المعاصي ،وكما اخفى احبائه واوليائه بين عبادته كي يحترم كل الناس ،واخفى وقت الموت كي يكون الناس دائما على استعداد له ،فالله قد يكون

اخفى ليلة القدر من اجل ان يجتهد الناس في العبادة والتوجه الى الله في كل ليالي شهر رمضان طلباً لليلة القدر وثوابها ، هذا كله فيما يتعلق بالامر الاول وهو تعيين ليلة القدر.

الامر الثاني :ان المفهوم من ظاهر ايات سورة القدر ان ليلة القدر ليست خاصة بزمان نزول القرآن وعصر النبي وانما كانت تتكرر في كل سنة في عهد النبي ثم رفعها الله ولم تعد تتكرر بعد ذلك . بل هي تتكرر في كل سنة في شهر رمضان والى ان يرث الله الارض ومن عليها . وهناك روايات عديدة بلغت حد التواتر اكدت حدوث هذه الليلة في كل سنة في شهر رمضان ،ولكن هل كانت هذه الليلة في الامم السابقة؟؟.

روايات متعددة تصرح ان هذه الليلة من الهبات الالهية على هذه الأمة فقط وانها لم تكن في الأمم السابقة، فقد روي عن النبي (ص) انه قال : ان الله وهب لأمتي ليلة القدر لم يعطيها من كان قبلهم.

الامر الثالث : ان ليلة القدر ترتبط لدى الكثير من المسلمين العاديين بظاهرتين:

الظاهرة الاولى : ارتباط ليلة القدر لدى بعض الناس بظواهر حسية معينة ، فبعض الناس العاديين يتصورون ان من وافاه الحظ او من وفقه الله في هذه الليلة يشاهد ظاهرة حسية خارقة للطبيعة، كإخفاء جدار مثلاً او شجرة ،او كروية جسم غريب بشكل معين وما الى ذلك .. ولا شك ان هذا التصور هو تصور خاطئ جاء نتيجة التخلف الثقافي والروحي لدى الانسان المسلم ،اذ ليس في النصوص الاسلامية ما يدل على حدوث ظواهر غير طبيعية في ليلة القدر، كما ليس في النصوص ما يدل على ان ليلة القدر تتمثل في كائن معين او في جسم معين ، بحيث انها تنزل على بعض المحظوظين في تلك الليلة كما يتوهم بعض عوام الناس.

الظاهرة الثانية : ارتباط ليلة القدر لدى بعض المسلمين السطحيين بظاهرة المغفرة السريعة والسهلة ، فبعض المسلمين يتصورون انه ليس على الانسان الا ان يصلي ويجتهد في الصلاة ويدعو ويجتهد في الدعاء في هذه الليلة لينال المغفرة على كل ذنوبه الماضية ،وليوفقه الله في سنته القادمة ،هذا بكل بساطة من دون ان يعمل الانسان بطاعة الله في سائر ايامه ومن دون ان يسعى باتجاه تصحيح اعماله ومواقفه وتصرفاته وفق ما يريده الله ومحبه.

إن هذا التصور ايضاً كالتصور السابق هو تصور خاطئ وبعيد عن روح الاسلام وعن اسلوبه في تربية الانسان . فالاسلام دين يؤكد على العمل وعلى السلوك المتوازن العقلاني، الاسلام يؤكد على ان الطريق الوحيد للخلاص والنجاح والتوفيق والتقدم في جميع المجالات انما هو العمل الصالح والممارسة الحسنة ، فلا يوجد في الاسلام صيغ سحرية لكسب انتصارات سهلة ومغفرة سهلة من دون عمل وسعي باتجاه طاعة الله وتصحيح المواقف والسلوك والاعمال وفق ارادة الله سبحانه وتعالى.



يقول الله تعالى : (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ،الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور) الملك /، 201 وروي عن الامام الباقر (ع) : ليس بين الله وبين احد قرابة ،احب العباد الى الله عز وجل واکرمهم عليه اتقاهم واعملهم بطاعته.

ولكن هل هذا يعني ان ليلة القدر كغيرها من الليالي لا تتميز بشيء ولا تختص بفضل معين ؟ بطبيعة الحال ليس الامر كذلك،

فهي ليلة دلت النصوص التي لا شك فيها على انها تمتاز عن غيرها من الازمان والليالي بفضل خاص يجعل العمل الصالح فيها افضل منه في سائر الازمان ويجعل العبادة فيها خيرا من عبادة الف شهر، ولكن الذي نريد ان نؤكد عليه هنا : هو ان العمل في ليلة القدر لا يتمتع باي صفة سحرية خارقة تجعل له اثراً مستقلاً عن سلوك الانسان في سائر ايام عمره.

فالانسان الذي يحافظ على الاستقامة هو الذي ينفعه العمل العبادي الخاص في هذه الليلة ،واما الانسان الذي لا يتمتع في عمله وسلوكه العام بأي استقامة ،والذي يستقبل ايامه بعد ليلة القدر بالانحراف الذي كان يمارسه قبلها ، هذا الانسان قد لا تنفعه الاعمال العبادية الخاصة وقد لا ينفعه ان يجهد نفسه بالدعاء في هذه الليلة.

20 ما معنى نزول الملائكة والروح في ليلة القدر العظيمة؟!

ليلة القدر خصائص وأحداث

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة القدر :

بسم الله الرحمن الرحيم

"إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما إدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، نُنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر، سراج هدي دلتك مطلع الفجر."

السورة المباركة كما ذكرنا تشير الى عدة حقائق، ترتبط بليلة القدر وخصائصها وما حدث فيها في الماضي في زمن النبي (ص) وما يحدث فيها باستمرار في كل سنة والى ان يرث الله الارض ومن عليها.

ونحن نتحدث هنا حول ما أشارت إليه السورة من حقائق في عدة نقاط:



النقطة الاولى : ان الاستفادة من قوله تعالى : (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن) في الاية 185 . من سورة البقرة، ان القرآن نزل كله في شهر رمضان ،والاية الاولى من سورة القدر تقول : (انا انزلناه في ليلة القدر) واسم القرآن وان لم يذكر صريحاً في هذه الاية الا ان الضمير في (انزلناه) يعود الى القرآن قطعاً فتكون الاية دالة على نزول القرآن في ليلة القدر ،وجمع هذه الاية مع تلك الاية ينتج ان القرآن الكريم نزل كله في شهر رمضان وفي ليلة القدر بالذات.

وهذه النتيجة تقودنا الى طرح هذا السؤال : وهو انه من المؤكد تاريخياً ان القرآن الكريم نزل تدريجياً على رسول الله على مدى ثلاث وعشرين سنة هي مدة الدعوة فكيف نوفق بين هذا النزول التدريجي وبين ما جاء في الايات من ان القرآن نزل في شهر رمضان وفي ليلة القدر بالذات؟؟.

أجاب البعض عن ذلك: بأن ابتداء نزول القرآن كان في ليلة القدر وان معنى قوله (انزلناه) اي ابتدأنا بانزاله والمقصود أنزال بعضه وليس كله، فابتدأ نزوله كان في ليلة القدر واستمر تدريجياً على مدى ثلاث وعشرين سنة الى ان اكتمل نزوله، وعلى هذا فلا اشكال ولا تنافي بين الايات وبين نزول القرآن تدريجياً.

ولكن هذا الجواب غير دقيق وذلك لأمرين:



أولاً : لان ظاهر قوله تعالى : (انا انزلناه في ليلة القدر) هو نزول القرآن كله في ليلة القدر وليس ابتداء نزوله او نزول بعضه لان الضمير في انا انزلناه راجع الى كل القرآن وليس الى بعضه .

وثانياً : إن القول بأن ابتداء نزول القرآن كان في ليلة القدر خلاف ما هو الثابت في الروايات الصحيحة من ان ابتداء نزول

القران كان عندما بعث النبي (ص) بالرسالة في السابع والعشرين من شهر رجب وليس في شهر رمضان حيث انه (ص) بعث بالقران واول ما نزل عليه هو قوله تعالى في سورة العلق: اقرأ باسم ربك الذي خلق الخ الايات.

وعليه :فالصحيح في الجواب عن السؤال المتقدم هو أن نقول : إن القرآن نزل مرتين : مرة دفعة واحدة وجملة واحدة في ليلة القدر وهذا هو المقصود في قوله تعالى : (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن) ويقوله تعالى (انا انزلناه في ليلة القدر) فان المقصود من انزال القرآن في هذه الايات هو النزول الدفعي على قلب النبي(ص) حيث نزل دفعة واحدة في ليلة القدر ولم يكن النبي في هذه المرة مكلفاً بتبليغه للناس .ومرة نزل بشكل تدريجي وعلى مدى ثلاث وعشرين سنة وكان ابتداء نزوله في السابع والعشرين من رجب وهو وقت بعثة النبي ، واستمر بالنزول التدريجي الى ان توفي رسول الله ، وفي هذه المرة كان النبي مأموراً بتبليغه للناس .وعلى هذا الاساس لا يكون هناك اي تناف بين الايات وبين ما هو ثابت تاريخياً من نزول القرآن تدريجياً.

النقطة الثانية : ان الله سمي هذه الليلة بليلة القدر اي الليلة التي يقدر ويعين الله فيها امور وحوادث السنة القادمة، ففي هذه الليلة تعين مقدرات الناس لسنة كاملة من حياة وموت ورزق وسعادة وشقاء وما الى ذلك، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى في سورة الدخان في وصف هذه الليلة (فيها يفرق كل امر حكيم) ففي هذه الليلة يقدر كل الامور والمسائل المصيرية المرتبطة بالانسان والحياة والكون ، والتعبير بالحكيم انما هو لبيان استحكام هذا التقدير وعدم تغيره وكونه حكيماً.

ان هذا المعنى لليلة القدر ينسجم مع الروايات الكثيرة التي تقول ان كل شيء من خير وشر وطاعة ومعصية وولادات وآجال وارزاق واعمار تقدر في هذه الليلة ، فيقدر لكل فرد من الناس ما يليق له وحسب درجة ايمانه وتقواه وطهارته واعماله الحسنة ،وبذلك فان ارضية التقدير يوفرها الانسان نفسه بحسب درجة ايمانه والتزامه.

النقطة الثالثة : ان قوله تعالى : (وما ادراك ما ليلة القدر) كناية عن عظمة هذه الليلة وجلالة قدرها وعلو منزلتها وقوله تعالى في الاية الثالثة: (ليلة القدر خير من الف شهر) انما هو بيان وتوضيح اجمالي لعظمة وقيمة هذه الليلة ،فان الف شهر تعني اكثر من ثمانين سنة فاي ليلة اعظم من هذه الليلة التي تساوي قيمتها عمراً طويلاً مباركاً بهذا الحجم ،والمقصود بكونها خيراً

من الف شهر انما خير من الف شهر من حيث فضل العبادة فيها، فاحيائها للعبادة والاقبال على الله خير من عبادة الف شهر، والاعمال الصالحة فيها خير من الاعمال الصالحة في الف شهر، ويؤيد هذا المعنى الروايات الكثيرة الواردة في شأن فضيلة ليلة القدر وفضل العبادة فيها.



أضف الى ذلك ان نزول القرآن في هذه الليلة ونزول البركات والالطاف والرحمات الالهية فيها وكونها مباركة ومنبعاً للخير والاحسان والعطاء كل ذلك يجعلها خيراً من الف شهر.

النقطة الرابعة: انه في ليلة القدر تنزل الملائكة والروح، والروح هو مخلوق عظيم يفوق الملائكة، تنزل الملائكة والروح بإذن ربهم من اجل تدبير كل امر من الامور وتعين وتقدير كل خير وبركة ورزق وحياة وموت وغير ذلك مما سيقع في السنة القادمة، فالهدف من نزول الملائكة والروح في هذه الليلة هو

لتقدير وتعيين هذه الامور والحوادث الكونية التي ستقع في السنة القادمة . وهذا ما اشار اليه قوله تعالى في الاية الرابعة من هذه السورة: (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل امر) فان كلمة (تنزل) بمعنى تنزل وجملة (من كل امر) يعني لاجل تدبير كل امر من الامور المتعلقة بالحياة والكون.

النقطة الخامسة: ان الاية الاخيرة من السورة وهي قوله تعالى : (سلام هي حتى مطلع الفجر) تصف هذه الليلة بأنها ليلة مفعمة بالسلام والأمن حتى الصباح، فهي سلام كلها لا شر ولا كيد ولا حرمان فيها ، بل هي مملوءة بالنور والرحمة والخير والبركة والسلامة والسعادة من كل الجهات، فالقران نزل فيها، وعبادتها خير من عبادة الف شهر ، وفيها تنزل الخيرات والبركات ، وبها يحظى العباد برحمة خاصة ، كما ان الملائكة تنزل فيها، فهي اذاً ليلة مفعمة بالسلامة والرحمة من بدايتها وحتى مطلع الفجر.

واذا كانت هذه الليلة ليلة السلام والرحمة التي تشمل العباد ، واذا كانت هذه الليلة تقدر فيها امور الناس حسب ما يليق بكل فرد منهم وحسب قابلية واستعداد كل فرد منهم فانه ينبغي على الانسان في هذه الليلة ان يكون مستيقظاً ومتوجهاً الى الله وفي حالة تقرب الى الله وتكامل على طريق بناء الشخصية الاسلامية ليرفع من مستوى لياقته واستعداده لمزيد من رحمة الله الواسعة .

21- إذا جاء نصر الله والفتح.. وفتح مكة

فتح مكة في شهر رمضان المبارك

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة النصر :

بسم الله الرحمن الرحيم

" إذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واسئففره إنه كان نوابا."

هذه السورة الصغيرة تحمل البشرى لرسول الله (ص) بثلاثة أمور : بنصر الله ، والفتح ، ودخول الناس في دين الله أفواجا،



وفي نفس الوقت توجه النبي والمسلمين الى طريقة التعامل مع النصر والفتح واسلوب التعبير عنهما ، فهي توجه النبي (ص) الى انه حين يتحقق نصر الله ويتحقق الفتح الاسلامي الكبير ويدخل الناس في دين الله أفواجا إن عليه في هذه الحالات ان يتوجه الى الله بالتسبيح والحمد والاستغفار ، لا ان يشعر بالزهو والفرح الذي يدفع نحو الغرور او الاستعلاء والاستقواء على الآخرين ، والذي يظهر من القرائن ان المراد بالنصر في هذه السورة هو النصر على قريش العدو الاول والاساسي لرسول الله وان المراد بالفتح فتح مكة.

فتح مكة الذي حدث في العشر الاواخر من شهر رمضان المبارك في السنة الثامنة الهجرية ،والذي استطاع النبي من خلاله ان يلحق الهزيمة بالاعداء بعد عشرين سنة من المقاومة.

فتح مكة فتح في الواقع صفحة جديدة في تاريخ الاسلام لان مركز الشرك تلاشى بهذا الفتح ،انهدمت الاصنام والوثان وتبددت امال المشركين .تطهرت الجزيرة العربية من الشرك وظلمات الجاهلية ،وازيلت بذلك الموانع والسدود من طريق ايمان الناس بالاسلام ومن طريق انتشار الدعوة الاسلامية في بقية أجزاء هذا العالم.

ومن هنا يجب ان نعتبر فتح مكة بداية مرحلة تثبيت اسس الاسلام والاستقرار في الجزيرة العربية ثم في العالم اجمع ،ولذلك لا نرى بعد فتح مكة مقاومة من المشركين سوى مرة واحدة قمعت بسرعة ،وكان الناس بعد هذا الفتح الكبير يفدون على النبي من

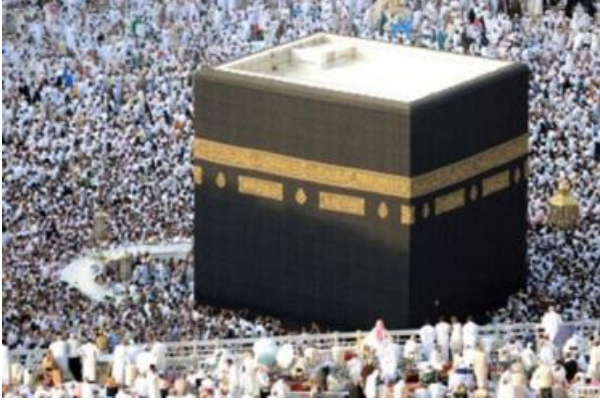
كل انحاء الجزيرة العربية ليعلنوا اسلامهم .ومن المفيد ان نتحدث هنا وبمناسبة الحديث عن هذه السورة عن اجواء هذا الفتح والنصر الالهي الكبير والظروف السياسية المحيطة به.

من المعلوم انه في السنة السادسة الهجرية تم التوقيع على وثيقة صلح بين النبي والمسلمين من جهة وقريش من جهة اخرى ، وقد عرف هذا الصلح في التاريخ الاسلامي ب(صلح الحديبية) وكان يقضي هذا الصلح بالدرجة الاولى بعدم تعرض احد الطرفين للآخر او لحلفاء الآخر ،وبعد مرور عامين تقريبا على توقيع هذه المعاهدة قرر النبي في السنة الثامنة الهجرية في شهر رمضان غزو قريش في عقر دارها في مكة وامر المسلمين بالاستعداد والتجهيز لذلك.

وكان من جملة دوافع واسباب اتخاذ هذا القرار من جانب النبي (ص).

أولاً :إن المشركين عمدوا الى نقض العهد والى خرق بنود وثيقة الصلح ،واعتدوا على المتحالفين مع الرسول (ص) من قبيلة خزاعة،فشكى المتحالفون ذلك الى رسول الله فقرر (ص) ان ينطلق لحمايتهم.

وثانياً :ان مكة التي كانت تعتبر انذاك مركز الوثنية والاصنام والشرك والنفاق والتي كانت تعتبر القاعدة الاساسية لاعداء



النبي كانت تمثل هدفاً لرسول الله لان النبي كان يعتبر ان الاسلام لا يمكن ان ينطلق بحرية في الجزيرة العربية وفي العالم ما دامت مكة تمثل قاعدة الشرك في المنطقة وما دامت مكة تحت سيطرة المشركين والمنافقين وقريش ، فكانت مهمة تطهير مكة من الشرك والمشركين وظيفة لا بد من القيام بها في وقت من الاوقات لازالة الموانع والحواجز من طريق ايمان الناس بالاسلام وانتشار الدعوة الاسلامية في المنطقة.

وفي السنة الثامنة للهجرة كان الظروف التي تساعد على القيام بمثل هذه المهمة مهمة تطهير مكة من الشرك والاصنام قد توافرت، لان الانتكاسات المتلاحقة لمشركي مكة امام المسلمين ، كانت قد أضعفت قريشاً وجعلتها تقترب من مرحلة اليأس من التغلب على المسلمين هذا من جهة ومن جهة اخرى فان المسلمين في السنة الثامنة كان قد ازداد عددهم وقويت ارادتهم وكبرت امكاناتهم واصبحوا قادرين على اخذ زمام المبادرة والقيام بعمل عسكري كبير في عمق مركز قريش في مكة ،لذلك كله عندما حل شهر رمضان من السنة الثامنة الهجرية استعد النبي ومعه المسلمون للحركة بأمر من الله سبحانه بإتجاه مكة.

وانطلق النبي (ص) ومعه عشرة الاف من المسلمين بإتجاه مكة وفتحت مكة بنصر من الله ،وقد تم هذا الفتح الكبير في ثلاث مراحل:

المرحلة التمهيدية : وفيها تمت تعبئة القوى واختيار الزمان المناسب للتوجه الى مكة وجمع المعلومات الكافية عن العدو واتخاذ الاجراءات اللازمة للحفاظ على سرية التحرك.

والمرحلة الثانية : كان الدخول الى مكة بأسلوب مباغت باهر من دون وقوع خسائر في الارواح او في الممتلكات . فقد وصل المسلمون الى مشارف مكة وعسكروا عند مر الظهران وهي منطقة تبعد عدة كيلومترات من مدينة مكة ، وفي الليل اشعلوا نيران كثيرة لاثبات تواجدهم الواسع وكثرة عددهم ، وفي هذه الاثناء كانت اخبار الزحف الاسلامي لا تزال خافية على قريش واهل مكة ، وهذا هو الذي جعل عنصر المباغتة والمفاجئة يلعب دورا اساسيا في فتح مكة من دون اراقة دماء او حصول مواجهة عسكرية ؟.

ودخل النبي مكة وأمر من ينادي في اهل مكة : من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن القى سلاحه فهو آمن ، ومن دخل داره واغلق عليه بابه فهو آمن ، ثم توجه الى المسجد الحرام وهو يتلو سورة الفتح ، ثم كبر وكبر المسلمون معه فدوى صوت التكبير في ارجاء مكة.

وعندما وصل الى الكعبة جعل يسقط الاصنام واحداً بعد الآخر وهو يقول: (جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً) وكان عدد من الاصنام قد نصب فوق الكعبة ولم تصل اليها يد الرسول(ص) فأمر عليا ان يصعد ويرمي بها فصعد عليه السلام ورمى بها.

بعد الانتصار الرائع والسريع توجه النبي الى اهل مكة وقال لهم : يا معشر قريش ما ترون اني فاعلٌ بكم ؟ قالوا : خيراً ، اخ كريم ، وابن اخ كريم ، فقال (ص): اذهبوا فانتم الطلقاء. اي قد عفوت عنكم.

وامر رسول الله (ص) جيشه ان لا يتعرضوا لاحد ، وان لا يسفكوا دم احد ، وامر فقط بقتل ستة اشخاص حسب بعض الروايات ممن كانوا خطيرين ومستغرقين في عدائهم للاسلام.



وحين بلغه ان سعد بن عبادة وهو احد حملة الوية الجيش الاسلامي يصيح : ويقول : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تسبي الحزمة ، امر عليا ان يأخذ منه الراية ويدخل بها مكة دخولا رقيقا لطيفا ويقول : اليوم يوم المرحمة.

وهكذا فتحت مكة من دون اراقة دماء ، لقد اتسع قلب الرسول (ص) لأهل مكة قاطبة وهم الذين كذبوه ، واهانوه ، وعذبوا اتباعه ، وطردوه ، وحاربوه

وجمعوا له الجموع من العرب حتى غزوه في دار هجرته ، ومثلوا بعمه ابقح وابنعم تمثيل ، ومنعوه قبل عامين من دخول مكة لأداء

مناسك الحج، وفعلوا معه ما لا تبيحه الاعراف والعادات وما لا يقبله منطق او ضمير ، ومع ذلك كله حينما مكنه الله منهم وجعله قادراً على قتلهم وتعذيبهم ومعاقبتهم منّ عليهم وعفى عنهم عفواً عاماً وقال لهم: اذهبوا فانتم الطلقاء، واعلن ذلك اليوم بانه يوم الرحمة ، والعفو العام.

وهذا يدل على ان الاسلام دين الرحمة والعفو والصفح ، هذه الرحمة وهذا العفو الذي كان له الاثر الكبير في القلوب حيث دخل الناس في دين الله افواجاً وساعد كثيراً على انطلاق الاسلام وانتشاره . وهذا هو الدرس الكبير الذي ينبغي ان نتعلمه من فتح مكة لحاضرنا ومستقبلنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

«إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واسئله أن يهدهم إلى صراط مستقيم»

قلنا في الحلقة الماضية ان المراد بالفتح الذي اشارت اليه هذه السورة هو فتح مكة والنصر الالهي على قريش الذي من الله به على النبي والمسلمين في شهر رمضان في السنة الثامنة الهجرية . وقد تحدثنا في الحلقة السابقة عن بعض ما يرتبط بهذا الفتح الاسلامي الكبير الذي بشر الله به نبيه في هذه السورة.

وقد تضمنت هذه السورة بالرغم من قلة الفاظها معان ومساائل دقيقة كثيرة نتحدث عنها في النقاط التالية لفهم محتوى ومضمون السورة بشكل جيد :



النقطة الاولى : اننا نلاحظ ان النصر في الاية اضيف الى الله فقال تعالى (اذا جاء نصر الله) وفي كثير من الايات القرآنية نجد نسبة النصر الى الله يقول تعالى في سورة ال عمران (وما النصر الا من عند الله) 126 - ويقول تعالى (الا ان نصر الله قريب) ، وهذا يعني ان النصر في اي حال من الاحوال لا يكون الا بإرادة الله ومشيئته وتوقيفه ولا يكون الا من عنده .

طبعاً لا بد من اعداد القوة للنصر والغلبة على العدو ولا بد من تهيئة اسباب النصر ووسائله وادواته، لكن الانسان المسلم يؤمن دائماً ان النصر حتى عندما تتوافر كل اسبابه العادية لا يتحقق لولا ارادة الله وتوقيفه وما اعطاه للمؤمنين من قوة العزم وشدة التحدي والثبات امام تحاويل العدو، ولذلك لا يغتر المؤمن بالنصر بل يتجه الى شكر الله وحمده على هذه النعمة الكبيرة .

النقطة الثانية : ان الحديث في هذه السورة دار عن ثلاثة امور بالتحديد : عن نصر الله ، ثم عن الفتح ، ثم عن انتشار الاسلام ودخول الناس في دين الله أفواجا .

وبين هذه الامور الثلاثة يوجد ارتباط وثيق يشبه ارتباط العلة والمعلول والسبب والمسبب ، فان نصر الله هو سبب في تحقق الفتح والفتح بحذ ذاته سبب لرفع الموانع من طريق الدعوة الاسلامية وانتشار الاسلام .

فينصر الله يتحقق الفتح وبالفتح تزال الموانع من طريق الناس فيدخل الناس في دين الله أفواجا.

والذي يستفاد من هذا الترابط ايضاً ان نصر الله والفتح هدفهما النهائي دخول الناس في دين الله وهداية البشر وليس هدفهما تحقيق مكاسب ومغانم اقتصادية او سياسية آنية او غير ذلك .

النقطة الثالثة : ان الله يوجه نبيه وكل المؤمنين والمسلمين الى كيفية التعامل مع النصر الالهي والفتح ، فالله يأمر عندما يأتي



النصر والفتح وتغلب على العدو بثلاثة امور : هي التسبيح ، والحمد ، والاستغفار .

فلا يصح ان يشعر المؤمنون بالغرور والاستعلاء عند نزول النصر والتغلب على الاعداء ، كما لا يصح ان يتخذوا موقف الانتقام وتصفية الحسابات الشخصية وانما عليهم ان يواجهوا نصر الله ، هذه النعمة الكبيرة عليهم، ان يواجهوا ذلك بالتسبيح والحمد والاستغفار.

التسبيح الذي يعني تنزيه الله عن كل عيب ونقص ، تنزيهه عن البخل والظلم والقسوة والضعف والحاجة والغفلة وغير ذلك، والحمد يعني الثناء على الله لافعاله واعماله الجميلة ولصفاته الكمالية، نحمده ونثني عليه لاحسانه ورزقه وخلقه وشفائه ونصره وغير ذلك من افعاله الحسنة ، ونحمده ونثني عليه لكرمه وعلمه وقوته وغير ذلك من صفاته الكمالية .

والاستغفار ان تطلب العفو من الله ازاء التقصير الذي يحصل منك تجاهه.

هذه الاوامر الثلاثة تعلمنا ان نكون في لحظات النصر الحساسة ذاكرين لله ولصفات جلاله وكماله ، لان كل شيء حسن وجميل فهو منه سبحانه وتعالى.

وان نتجه الى الاستغفار لكي يزول عنا الغرور ولكي نبتعد عن روح الانتقام .

ومعنى التسبيح بالحمد في قوله تعالى : (فسبح بحمد ربك) هو ان التسبيح تنزيه الله عن النقص ، والحمد هو الثناء على الله لافعاله الجميلة وصفاته الكاملة . فاذا سبحت الله بالحمد وقلت سبحان ربي وبحمده فانك بذلك لم تنف النقص عن الله بالقول فقط ، بل تكون قد جئت بما يدل على انتفاء ذلك النقص عملياً لان حمدك هذا يدل على صدور فعل اختياري جميل عن الله قد تجسد في الخارج، كالرزق والخلق والرحمة وما الى ذلك، فالتسبيح بالحمد لا يعني مجرد نفي النقص والضعف عن الله بل يعني نفي النقص عن الله واثبات فعل او صفة تدل على كماله وجماله، وانك تقف لتحمده عليها وتثني عليه لاجلها ، وهنا قد نسأل بان النبي (ص) هو مثل كل الانبياء معصوم ومنزه عن فعل ما يوجب الاستغفار ، فلماذا يأمر الله بالاستغفار في هذه السورة ؟؟

والجواب : ان الله سبحانه يخاطب النبي في هذه السورة باعتباره قائداً لكل الامة ،فالخطاب في الحقيقة موجه لكل الامة
والامر بالاستغفار الوارد في السورة انما هو تعليم لكل الامة لانه :

اولاً: خلال ايام المواجهة بين المسلمين والمشركين مرت فترات عصبية على المسلمين وضائق صدور بعضهم وشكك البعض
الاخر في وعد الله بالنصر ، كما قال تعالى مبيناً حالة المسلمين في غزوة الاحزاب (وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا)
الاحزاب 10-

والان بعد ان امدكم الله بالنصر واستطعتم بارادة الله وتوفيقه ان تغلبوا على الاعداء فقد اتضح خطأ تلك الظنون والشكوك
التي صدرت منكم في بعض المواقف الحرجة كغزوة الاحزاب فلا بد من الاستغفار عن ما صدر منكم في تلك المواقف من شك
وظن بوعد الله سبحانه وتعالى .

وثانياً : ان عبارة (واستغفروه انه كان تواباً) قد يراد من خلالها تعليم المسلمين العفو والتسامح والصفح عن الآخرين ،فكما
ان الله تواب كذلك انتم ينبغي ان تقبلوا توبة المذنبين والمجرمين بعد الانتصار ، فلا تطردوا المجرمين والمذنبين ما داموا منصرفين عن
مواجهتكم والتآمر عليكم ، ولذلك نجد ان النبي (ص) اتخذ موقف العفو والرحمة في فتح مكة ، فعفى عن كل اولئك الاعداء
الذين حاربوه وآذوه لسنوات طويلة .

وهذا هو الدرس الكبير الذي نأخذه من خلال هذا التعليم الالهي وهو ان نقف موقف العفو والتسامح مع القدرة ،وان
لا نشعر بالغرور والاستعلاء وان لا نلجئ الى الانتقام في حالات النصر بل ان نتجه الى شكر الله وحمده وذكره باستمرار حتى
لا تظهر حالات الغرور او الانتقام فينا .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

23 - الإفساد الأول والثاني لبني إسرائيل متى وكيف؟

يقول الله سبحانه وتعا :

بسم الله الرحمن الرحيم

وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً، فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً، ثم ردنا لكم الكرة عليكم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها، فإذا جاء وعد الآخرة ليسئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ولينبروا ما علوا تنبهوا، عسى أن يرحمكم

وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً 8/4.

المعنى الاجمالي لهذه الايات ان الله سبحانه وتعالى اخبر واعلم بني اسرائيل في الكتاب الذي انزله على نبيهم وهو التوراة انهم سيرتكبون فسادين اجتماعيين كبيرين يقود كل منهما الى الطغيان والعدوان والاحتلال والاستكبار في الارض، وان الله سينتقم منهم في الدنيا قبل الآخرة فيسلط عليهم بعد كل افساد واحتلال رجالا اشداء اولى بأس شديد يذلونهم بالقتل والاسر ويذيقونهم جزاء فسادهم واستكبارهم ويجبرونهم على دفع ثمن اعتداءاتهم واحتلالهم للارض والمقدسات غالباً، وفي التفاصيل فان الايات تشير الى اربعة احداث هامة ترتبط ببني اسرائيل وفسادهم في الارض المقدسة وفي فلسطين :



الحدث الاول: ان بني اسرائيل سوف يفسدون في الارض ويعلمون علواً كبيراً وهذا هو الافساد الاول لبني اسرائيل التي اشارت اليه الايات بقوله تعالى : (لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً) وطبعاً ليس المقصود بافسادهم هنا الافساد بمعناه العام الذي يشمل الكفر والكذب واكل الربا وتدمير المؤسسات واشعال نار الحرب ونحو ذلك ، فان هذه الامور هي ديدن بني اسرائيل ودينهم وجزء من حركتهم وعقليتهم في كل عصر وفي كل جيل ، وقد قال الله تعالى فيما قال عنهم : (وقالت اليهود

يد الله مغلوله غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا .. الى ان يقول : كلما اوقدوا نارا للحرب اطفئها الله ويسعون في الارض فسادا الله لا يحب المفسدين) المائدة 64.



إذا ليس المقصود بفسادهم الافساد العام هذا ، وإنما المقصود
الافساد الخاص وهو الحكم والسيطرة والاحتلال لاراضي الآخرين
ومقدساتهم ، فحكمهم واحتلالهم هو الافساد بالذات بدليل قوله
تعالى (ولتعلن علوا كبيرا) اذن معنى قوله تعالى (لتفسدن في
الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا) انكم يا بني اسرائيل ستحكمون
مرتين وتتخذون الحكم وسيلة للفساد الكبير الذي لا يقاس به اي
فساد ، فتستبيحون المقدسات ، وتنتهكون الحرمات ، وتستهينون
بالقيم والاخلاق ، وبكل حق من حقوق الله والانسان .

والحدث الثاني الذي تشير اليه الايات : هو أن عبادا لله مجاهدين أولى بأس شديد سوف يحاربون بني اسرائيل بعد فسادهم
وارهابهم واحتلالهم ، فينتصرون عليهم ، ويطأون بلادهم ويلاحقونهم في ديارهم جزاء على بغيتهم وارهابهم ، ويدخلون المسجد
الاقصى في القدس فاتحين ، وقد اشار الله الى ذلك بقوله : (فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا
خلال الديار وكان وعدا مفعولا) والجوس خلال الديار يعني وطنها والتردد فيها بغية ملاحقة من فيها .

والحدث الثالث : من الاحداث التي اشارت اليها الايات هو : ان بني اسرائيل بعد ان يعيشوا مرارة الهزيمة والذل على
ايدي المجاهدين الاشداء في المرة الاولى ستعود الكرة والغلبة لهم على اعدائهم ، فبعد مدة زمنية طويلة نسبيا من محنتهم الاولى
تكثر اموالهم واولادهم ، فيجهزون جيشا كبيرا يكون اعظم من جيش اولئك العباد الاشداء ، وعندما تقع المواجهة بين الطرفين
من جديد يستطيع اليهود ان يتغلبوا على اعدائهم وتكون الكرة لهم في هذه المرة ، فيعودون من جديد الى الطغيان والافساد ، ويعودون
من جديد الى احتلال الارض والمقدسات ، وهذا هو الافساد الثاني الذي اشار اليه تعالى بقوله : (ثم رددنا لكم الكرة عليهم
وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) .

الحدث الرابع : هو انه بعد أن يعود بنو اسرائيل الى الافساد والاحتلال من جديد يعود اولئك العباد الاشداء الى قتالهم
ومقاومتهم ، وبفعل تضحياتهم وارادتهم وعزمهم على مقاومة فساد بني اسرائيل يستطيع هؤلاء المجاهدون ان يحققوا نصراً أكيداً
على اليهود فيفتكون بهم ويدلونهم بالقتل والاسر والتشريد والتدمير ويدخلون من جديد بالقوة الى المسجد الاقصى في القدس
كما دخلوه في المرة الاولى ، وهذا ما اشار اليه تعالى بقوله : (فاذا جاء وعد الاخرة "اي موعد الافساد الثاني " ليسووا وجوهكم
" اي يبعث الله عليكم من يذلكم بحيث تظهر اثار الذل والمحنة على وجوهكم حزناً وكأبة " وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول
مرة وليتبروا ما علوا تنبيرا) .



والذي يبدو من التدقيق في جملة (وليتبروا ما علوا تتبيرا) هو ان المجاهدين في هذه المرة اي المرة الثانية يذيقون بني اسرائيل اشد الوان الهلاك والدمار والعذاب ،فهذه المرة تكون اشد على اليهود من الكرة الاولى لأن التتبير يعني الاهلاك والتدمير والابادة شبه الكاملة .

هذا هو حصيلة ما تضمنته الايات بالنسبة الى الاحداث الهامة التي تقع بين اليهود وبين من يسخرهم الله لمعاقبتهم على افسادهم واستكبارهم واحتلالهم للقدس والاراضي الاسلامية المقدسة .

والتدقيق في عبارات الايات يجعلنا نستوحي منها عدة امور ترتبط بالاحداث التي ذكرناها :

الامر الاول : ان حصول الافساد الاول والثاني من بني اسرائيل ،ثم الانتقام منهم على أيد رجال اشداء أولي بأس شديد ،هو امر حتمي لا خلف فيه ولا مرد له ،فهو واقع حتماً وجزماً عاجلاً ام أجلاً ، وهذا ما نستفيده من كثرة المؤكدات الواردة في بعض كلمات وجمل الايات ،فلاحظ قوله تعالى مثلاً (وقضينا) الذي يشير الى حتمية صدور الافساد من بني اسرائيل لكن لا على سبيل الجبر والاكراه، وإنما على سبيل الاخبار بما هو حتمي الوقوع بحسب ما يعلمه الله من احوالهم واوضاعهم وعقليتهم ، ثم اتى بلام الابتداء ونون التوكيد في اكثر من مورد فقال تعالى : (لتفسدن ،ولتعلن) يؤكد حصول الافساد والاستكبار من بني اسرائيل .ثم قال تعالى (إذا جاء وعد الآخرة) ولم يقل :وقت او موعد ليؤكد ايضاً حصول ذلك منهم لان الوعد يقتضي الوقوع والتحقق جزماً لأنه لا خلف للوعد، ثم الحق ذلك بكلمة (بعثنا) ولم يقل : سنبعث ليشير بذلك الى ان مواجهة ومقاومة فساد بني اسرائيل واحتلالهم للارض والمقدسات امر حاصل لا محالة ،فهو يخبر عن وقوعه وحصوله كأنه واقع حاصل ، ثم عاد وأكد وقوع وحصول ذلك كله بقوله تعالى (وكان وعداً مفعولاً) اي لا مناص منه ولا محيص عنه .

الامر الثاني : ان الاستفادة من الايات هو : ان من سوف تجري لهم مع بني اسرائيل هذه الاحداث هم جماعة واحدة ،فالذين يواجهون اليهود في المرة الثانية بعد افسادهم الثاني هم من نفس الفئة والجماعة الذين يواجهون اليهود في المرة الاولى بعد افسادهم الاول، وذلك لان الضمائر في كلمة (جاسوا -عليهم -وليسوا - وليدخلوا - ودخلوه -وليتبروا) الواردة في الايات كل هذه الضمائر ترجع الى جماعة واحدة عبر عنها بقوله تعالى : (عباداً لنا) فانه ليس في الايات ما يصلح مرجعاً لهذه الضمائر غير جملة (عباداً لنا).



الامر الثالث : ان المقصود ب : (عباداً لنا) الذين سيواجهون اليهود

وفسادهم واحتلالهم ، هم قوم مؤمنون مجاهدون ، لان ذلك هو الظاهر من قوله تعالى : (بعثنا) وقوله (عباداً لنا) لان البعث من قبل الله والعباد له لم يستعملوا في القرآن الا في مقام المدح والثناء الا ما شذ ونذر .

وعلى هذا الاساس فان المؤمنين هم من سيقفون في مواجهة طغيان

اليهود واستكبارهم واحتلالهم ، وسيدفعهم ايمانهم والتكليف الشرعي الالهي

الى القيام بذلك العمل الجهادي المقاوم ، وبذلك يصح ان يقال كما في الاية (بعثنا عليكم) لان اوامر الله هي التي دفعتهم وحركتهم للقيام بمقاومة اليهود ، فالله هو المحرك والباعث لهم للقيام بذلك .

الامر الرابع : انه يستفاد من هذه الايات ايضاً : ان هؤلاء العباد والمجاهدين سوف يدخلون المسجد الاقصى في القدس

مرتين ، وان دخولهم هذا سوف يكون على نحو واحد في المرتين معاً اي بالجهاد والقوة والقهر والغلبة (كما دخلوه اول مرة) وليس بالتسويات المذلة ، ولا باتفاقيات ومعاهدات السلام الوهمية التي قد ترفع الاحتلال ظاهراً ولكنها تبقي عليه حقيقة وواقعاً .

واذا كان تحرير الارض والمقدسات ودخول القدس الشريف لا يكون الا بالفعل الجهادي المقاوم وبقوة السلاح وبالإرادة

القوية والعزيمة الراسخة فهذا يتطلب منا جميعاً وفي يوم القدس العالمي استعداداً فعلياً وعملياً وعلى جميع المستويات لمواجهة هذا الاستحقاق الجهادي الكبير .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

24- من هم الذين يدخلون المسجد الأقصى ويدمرون الكيان الاسرائيلي؟

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الاسراء

بسم الله الرحمن الرحيم

: وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لنفسدن في الارض مرتين ولنعلن علواً كبيراً، فاذا جاء وعد اولهما بعثنا عليك عباداً لنا اولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً، ثم ردنا لك الكرة عليها وامددناك باموال وبنين وجعلناك اكثر نفيراً، ان احسنن احسننك لانفسك وان اسانن فلها فاذا جاء وعد الاخرة

ليستوا وجوهك وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة ولينبروا ما علوا تنذيراً، عسى ربك ان يرحمك وان عدنى عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً (8/4).

قلنا في الحلقة الماضية ان هذه الايات تفيد بان الله اخبر بني اسرائيل في التوراة انهم سوف يفسدون في الارض اولاً، فيسلط عليهم عباداً اقوياء اولى بأس شديد فيذلونهم ويذيقونهم جزاء فسادهم وعلوهم في الارض، ثم يستردون قوتهم بعد ذلك وتكون الغلبة لهم على اعدائهم ولكن يعودون الى الفساد والاحتلال والسيطرة ثانية فيسلط الله عليهم ايضاً عباداً اشداء يضربونهم الضربة الثانية ويحررون الارض من رجزهم واحتلالهم ويدخلون المسجد الأقصى في القدس الشريف كما دخلوه اول مرة .



وقد ذكرنا ان عباد الله الذين يواجهون اليهود في المرتين ويحررون

القدس الشريف من سيطرتهم، هم قوم مؤمنون ينطلقون في مقاومتهم لفساد بني اسرائيل واحتلالهم للارض والمقدسات من موقع ايمانهم والتكليف الشرعي ومن خلال وعيهم لواجباتهم ومسؤولياتهم الجهادية .

اذن : الذي يستفاد من الايات ان هناك افسادين كبيرين حتميين لليهود في الاراضي المقدسة، وان هناك ضربتين حتميتين لهم بعد كل افساد يحقق فيهما المؤمنون المجاهدون نصراً اكيداً عليهم، ويستطيعون في كل مرة تحرير القدس الشريف من سيطرتهم واحتلالهم ويدخلون المسجد كما دخلوه اول مرة . هذا ما يستفاد من الايات بشكل عام .



ولكن يبقى الكلام في تطبيق الايات على الواقع الخارجي، فهل حصل وتحقيق مفادها كله في الماضي؟ او انه سوف يحصل كله في المستقبل؟ او ان بعض ذلك قد حصل والبعض الاخر متوقع الحصول؟؟

في الحقيقة ان هناك اراءً متعددة ومتباينة للمفسرين حول هذا الموضوع، ويمكننا هنا ان نشير الى اهمها وهي ثلاثة اراء :

الرأي الاول : ان الافسادين من بني اسرائيل قد تحققنا في الماضي البعيد

ومضت الضربتان ايضاً قبل ظهور الاسلام . الافساد الاول حصل منهم عندما اغاروا على فلسطين بعد حادثة التيه بقيادة يوشع بن نون خليفة موسى حيث احتلوها واستولوا على جميع ما فيها من خيرات وثروات بعد ان ابادوا معظم اهلها الكنعانيين . فجاء البابليون بقيادة بخت نصر او ابيه سنحاريب حيث ضربوهم الضربة الاولى ، فقد دخل البابليون القدس واحرقوا الهيكل وقتلوا من اليهود مقتلة عظيمة واخذوا من بقي منهم رجالا ونساء واطفالا سبايا اذلاء الى بابل وكان ذلك قبل الاسلام بنحو الف سنة تقريباً ، اما الافساد الثاني فيقول هذا الفريق انه حصل بعد ان استطاع كورش ملك الفرس إنقاذ بني اسرائيل من سيطرة البابليين حيث أعادهم كوريش الى ديارهم واعانهم في تعمير بيت المقدس ، فعادوا الى الافساد الثانية ، وفي هذه المرة سلط الله عليهم قيصر الروم الذي أمر وزيره بمواجهتهم فضرهم الضربة الثانية وفتك بهم قتلاً وأسرًا وتشريدًا وتخريبًا واستطاع ان ينتصر عليهم ويدمرهم وكان ذلك في حدود مئة سنة قبل الميلاد .

وبذلك تكون الاحداث التي اشارت اليها الايات هي نفس الاحداث التي وقعت بينهم وبين بخت نصر في المرة الاولى ، وبينهم وبين قيصر الروم في المرة الثانية ، ولكن يعترض على هذا الرأي الذي لم يستبعده العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان بعدة امور :

اولا: ان الايات تفيد ان المبعوث لمواجهة بني اسرائيل وضرهم هم فئة واحدة في كلا المرتين ، تجمعهم رابطة واحدة ، وعقيدة واحدة او قومية واحدة لأن ذلك هو ظاهر قوله تعالى (عباداً لنا) كما ذكرنا في الحلقة الماضية ، وعليه فلا يمكن تطبيق الايات على بخت نصر وعلى قيصر الروم لانهما وان واجها بني اسرائيل في الماضي الا انه لا رابطة تجمع بينهما في الانتماء، فهما ليسا جماعة واحدة بل جماعتين منفصلتين مختلفتين في العقيدة وفي الانتماء وفي غير ذلك .

وثانياً : ان الاية تكاد تكون صريحة في ان لبني اسرائيل كرة وغلبة ونصراً على اولئك العباد المبعوثين الذين ضربوهم الضربة الاولى ، وهذا لم يحصل مع بخت نصر الذي ضرهم الضربة الاولى حسب هذا الرأي لأن اليهود لم يستطيعوا ان يحققوا نصراً على بخت نصر بل ان كورش هو الذي ارجعهم الى ديارهم وحررهم من البابليين حسب هذا التفسير .

ثالثاً: ان بخت نصر لم يدخل المسجد كما ان قيصر الروم لم يدخل المسجد مع ان الايات اشارت الى ان المبعوثين الذين يضربون اليهود في المرتين يدخلون المسجد الاقصى في القدس .

ورابعاً: ان الذين ضربوا بني اسرائيل في المرتين حسب هذا التفسير ،لم يكونوا من المؤمنين (عباداً لنا) بل كانوا من الطغاة والمتجبرين .



وعلى هذا الاساس فلا يمكن تطبيق الايات على الوقائع التي ذكرت في هذا الرأي ومن هنا تأتى الى رأي ثان في تطبيق الايات .

فالرأي الثاني يقول : ان الضربة الاولى على بني اسرائيل وقعت بيد المسلمين في ايام خلافة عمر بن الخطاب لانه فتح القدس وجاس هو والمسلمون خلال الديار الفلسطينية .

وفسر هذا الرأي الافساد الثاني لبني اسرائيل بما فعله اليهود والصهاينة في حزيران سنة 1967 من احتلال القدس والسيطرة عليها وبعض الاراضي العربية والاسلامية وما يفعلونه حتى الان في فلسطين ولبنان والمنطقة بشكل عام .

ويضيف اصحاب هذا الرأي ان الضربة الثانية لم تتحقق بعد ، بل ان الله سيمكن عاجلاً ام اجلاً العرب والمسلمين من العدو الاسرائيلي فيحررون القدس كما حرره المسلمون من قبل في زمن عمر ويسترجعون باقي الاراضي المغتصبة التي احتلوها بدعم من الاستكبار العالمي .

ولكن الاعتراض الاساسي الذي يواجه هذا التفسير هو ان عمر حينما دخل المسجد الاقصى لم يكن في القدس احد من اليهود وانما كانت القدس تحت سيطرة النصارى ، اضعف الى ذلك ان عمر دخل القدس صلحاً وليس بالقوة والغلبة ، مع ان ظاهر الايات هو ان تحرير القدس ودخول المسجد الاقصى سيكون بالجهاد والقوة والقهر والغلبة على اليهود (ليسوؤاً وجوهكم وليدخلو المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تنبيهاً) ولذلك فان هذا الرأي ايضا لا يصلح تفسيراً وتطبيقاً للايات المباركة .

ومن هنا ولعدم صلاحية تطبيق معنى الايات على شيء من الاحداث التي وقعت لبني اسرائيل في الماضي ، يذهب بعض المفسرين الى رأي ثالث فيقول : ان الاحداث التي اشارت اليها الايات لم تحصل ولم تقع لبني اسرائيل بعد لا في تاريخهم القديم ولا في تاريخهم الحديث وان هذه الاحداث ستقع في المستقبل ،ويستدل على ذلك بان اللام في قوله تعالى (لتفسدن) وفي قوله

(ولتعلن) هي لام الاستقبال والتوكيد ، كما ان كلمة (إذا) في قوله تعالى (فإذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا) هي اداة ظرفية تدل على ان الامر سيقع في المستقبل فوجود كلمة (إذا) في هذه الاية يدل على ان الفساد والعلو ثم التدمير الاول والزوال الاول للكيان الاسرائيلي فضلا عن الثاني ات في المستقبل وانه لم يمر بعد .

هو ات على ايد رجال اتقياء اوفياء لقضيتهم الاساسية ، هو ات بفعل توضحيات فئة مؤمنة مجاهدة فهمت ان قضية القدس ليست قضية الشعب الفلسطيني وحده، بل قضية كل المسلمين في العالم ، وفهمت ان ازالة اسرائيل من الوجود ازالة فسادها وارهابها واحتلالها ، ليست مهمة جانبية بل هي مهمة اساسية وتكليف شرعي الهى واجب على كل المسلمين بل على كل الشرفاء والاحرار في هذا العالم ، هو ات على ايد هؤلاء وان غداً لناظره قريب .

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين